

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⵓⵎⵓⵍⵓⵔ ⵎⵎⵎⵔ ⵉⵝⵓⵣⵓ

ⵕⵓⵏⵓⵔ ⵎⵎⵎⵔ ⵉⵝⵓⵣⵓ

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-
OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature
Arabes



جامعة مولود معمري - تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

رقم الترتيب.....

الرقم التسلسلي.....

مذكرة تخرج ماستر ل. م. د

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي معاصر

عنوان المذكرة

الأنساق الثقافية في رواية "عرس الزين" للطيب صالح

الأستاذة المشرفة:

ويزة عمارة

إعداد الطالبتين:

إلهام بوعافية

سعيدة بوقرومة

لجنة المناقشة:

د. مولود بوزيد، أستاذ محاضر "أ"، جامعة مولود معمري تيزي وزو رئيسا.

د. ويزة عمارة، أستاذة محاضرة "أ"، جامعة مولود معمري تيزي وزو مشرفة ومقررة.

د. تسعديت بن احمد، أستاذة مساعدة "أ"، جامعة مولود معمري تيزي وزو ممتحنة

السنة الجامعية: 2021-2022

شكر وعرهان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء محمد خاتم المرسلين.

قبل كل شيء نحمد الله ونشكره جزيل الشكر والحمد والثناء على توفيقه لنا في إتمام هذا البحث فالحمد لله العلي العظيم الذي منحنا الصحة والعافية والصبر والقوة والطموح وسخر يد العون والمساعدة ومن عليا بفصل نعمته.

واقثناء نقول الحبيب المصطفى من لا يشكر الناس لا يشكره الله لا يفوتنا أن نشكر النفوس الطيبة التي أضاءت دربنا من معلمين ومؤطرين وأساتذة عبر مختلف المراحل والأطوار التي مررنا بها

كما نتوجه بأحر عبارات الشكر والتقدير والعرهان إلى أستاذتنا المشرفة عمارة لويضة التي لم تبخل بإرشاداتها ونصائحها الثمينة على طول مراحل البحث منذ أن كان مجرد فكرة في الأذهان إلى أن صار مذكرة أكاديمية.

ومن ثم نتوجه بأحر عبارات الشكر والتقدير والإخلاص إلى الأسرتين الكريمتين.

أسرة سعيدة بوقرومة أبا رحمة الله عليه وأما حفظها المولى وأجلها بجلاله، إخوة وأخوات.

أسرة بوعافية الهام أبا وأما إخوة وأخوات

على صبرهم ودعهم لنا فجزاهم الله خيرا وحفظهم.

الإهداء

إلى الذي لن يكون معي في بقية دربي إلا أنه سيبقى محمولا في قلبي إلى الشمعة التي غادرت حياتنا إلى المفقود الغالي إلى روح أبي الطاهرة رحمة الله عليه.

إلى أعز وأغلى إنسانة في حياتي التي أنارت دربي وكانت بحرا صافيا يجرى بفيض الحب والبسمة إلى من زينت حياتي بنور البدر وشموع الفرح إلى من علمتني الصبر والاجتهاد إلى الغالية على قلبي.أمي.....

لكل العائلة الكريمة التي ساندتني ولا تزال من إخوة وأخوات

إلى الغالية على قلبي صديقي تسعديت.

إلى من شاركتني في إنجاز هذا البحث الاكاديميصديقتي الهام

إلى رفيقات المشوار اللاتي قاسمنني لحظاته رعاهن الله ووفقهن.

إلى الأستاذة التي أتمنى أن لا أقلل من حقها فان اطلت في الحديث عنها فلن أوفي

حقها الكبير علينا عمارة ويزة لها كل الاحترام والتقدير.

إلى كل الذين احتواهم قلبي ولم يذكرهم قلبي اهدي هذا العمل

سعيدة

الإهداء

حمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وآله ومن وفى أما بعد
الحمد لله وبفضله تتم النعم الذي وفقنا في بحثنا ووفقنا في هذا المشوار الدراسي.
اهدي ثمرة جهدي إلى من علمني لذة النجاح ومتعته وساندي طول المشوار الدراسي
وكان خير أبي الغالي

إلى قرة عيني وداعمتي في الحياة أُمي الغالية
إلى العائلة الكريمة خاصة إخوتي بلال وريان وأختي ثوام روعي باسمين
إلى صديقاتي دنيا رحمة الله عليها وصافية وصبرينة
إلى صديقة المشوار وصديقة البحث سعيدة بوقرومة
كما أتقدم بخالص الشكر والعرفان للأستاذة المشرفة عمارة ويزة على المساندة
والمساعدة مقدمة لنا النصائح والإرشادات من أجل إنجاحه .

الهام

مقدمة

جاء النقد كرد على البنيوية اللسانية، والسيمياثيات النظرية الجمالية، ف جاء للكشف عنها وأعطى الأهمية وحل عدة مشكلات نقدية في سياقها الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي والانتروبولوجي، وانتقلت النظرية النقدية المعاصرة من النصوص الإبداعية إلى قراءة الأنساق الثقافية، حيث اعتمدنا على آليات النقد الثقافي ومقومته، في استنطاق البنى الثقافية المعلنة عنها والمضمرة.

تعد الرواية من أهمّ الأجناس الأدبية، فأضحت الرواية محل جدل لما تعكسه من واقع، ووعي وتخيل في تفكيك وحل المشاكل في الأوساط الاجتماعية والسياسية، لما تكتنزه من أنساق ثقافية.

وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأسباب لعل أهمها حب التطلع واكتشاف سمات وخصائص الرواية السودانية وتحليلها بغية الوصول إلى أنساقها المضمرة، لأنها مدخل روائي يتداخل والموروث الشعبي.

فبعد قراءة رواية "عرس الزين" للروائي "الطيب صالح"، أتحننا الروائي بالكم الهائل من الأنساق الثقافية المهيمنة فيها ومن الموروث الشعبي الذي يعكس الثقافة السودانية، فاتخذناها كمدونة بحثنا.

ومن هنا كان عليا طرح عدة إشكاليات وهي:

ما مفهوم النسق والثقافة، وكيف تتمظهر الأنساق الثقافية؟ ما هي الأنساق التي وظفها؟، كيف تتمثل في الرواية؟ وهل عكست الثقافة الواقع السوداني؟ وإلى أي مدى استطاع الروائي توظيف هذه الأنساق؟

وللإجابة على هذه الأسئلة اعتمدنا على آليات النقد الثقافي ، فقسّمنا بحثنا إلى مقدمة وفصيلين وخاتمة وملحق. وفي الفصل الأول جعلناه نظري الموسوم بـ "الجهاز المفاهيمي

للسق الثقافي الروائي"، عرفنا النسق لغة واصطلاحاً، ثم مفهوم الثقافة، وبعدها عرفنا الأنساق الثقافية والنقد الثقافي وعلاقته بالثقافة والبناء الثقافي في الرواية.

أما الفصل الثاني فكان الجانب التطبيقي الموسوم بـ"تمظهرات الأنساق في الرواية"، قمنا فيه بتحليل وقراءة العنوان، وبعدها تطرقنا إلى الأنساق الثقافية السودانية والأنساق الاجتماعية وتمظهرات الأنساق الثقافية من النسق الدني والسياسي والاجتماعي، وعرفنا الأنثروبولوجيا وتعمقنا في النسق، كما أشرنا إلى العادات والتقاليد والزواج في المجتمع السوداني، أما الخاتمة محورت مجموعة من النتائج توصلنا إليها من خلال الدراسة، أما الملحق فيتضمن ملخص الرواية والتعريف بالمؤلف.

اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر والمراجع أمثال: عبد الله محمد الغدامي: كتاب النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، يمني العيد: في معرفة النص دراسة في النقد الأدبي، عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنية إلى التفكيك، ارثر ايزابرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، حميد الحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.

وكل بجث واجهتنا عوائق وصعوبات، ويعود ذلك إلى طبيعة الموضوع، رغم أن الأنساق الثقافية ذات شعبية واسعة، كذلك ضيق الزمن دفعنا إلى تجاوز بعض القضايا الأساسية.

الفصل الأول:

الجهاز المفاهيمي للنسق الثقافي الروائي

المبحث الأول:

1- مفهوم النسق

2- مفهوم الثقافة

3- مفهوم النسق الثقافي

المبحث الثاني:

1- الثقافة والنقد الثقافي

2- البناء الثقافي في الرواية

المبحث الأول:

1- مفهوم النسق

أ- مفهوم النسق لغة

ورد المفهوم اللغوي للنسق في العديد من المعاجم والقواميس، ومن بينها معجم "لسان العرب" ابن منظور فقد عرفه على أنه "ما جاء من الكلام على نظام واحد.

النسق من كل شيء : ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء، وقد نسقته تنسيقاً ويخفف، ابن سيده: نسق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظمه على سواء، وانتسق هو تناسق، والاسم النسق، وقد انتسقت، هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لان الشيء إذا اعطقت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحدا. وروي عن عمر رضي الله عنه، انه قال: نسقوا بين الحج والعمرة قال شمر : معنى نسقوا يقال: ناسق بين الأمرين أي تابع بينهما"⁽¹⁾.

كما وردت لفظه نسق في معجم "العين" بمعنى "كل شيء ما كان على نظام واحد عام في الأشياء"⁽²⁾.

ولا يختلف المعنى في "معجم اللغة العربية المعاصرة" فنسق الشيء، نظمه ونسق القلادة الكتب دار نسق منتظم ومتسق ونسق الكلام، عطف بعضه بعض ورتبه يحسن نسق الكلام، تناسقت الأشياء، انتظم بعضها البعض، تناسق الكلام جاء على نظام واحد. نسق الشيء:نظمه ورتبه وضبطه، ينسق التاجر بضاعته قبل الشروع في بيعها"⁽³⁾.

¹ - ينظر: ابن المنظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب" دار المعارف، د ط، مادة نسق فصل النون"، ص4412

² - ينظر: الخليل بن احمد الفراهيدي: كتاب العين، تج عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط 1، 2002، ص218

³ - احمد عمر المختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، القاهرة 2008 ص 2203 - 4

أما في معجم "الوسيط" وردت كلمة نسق "ما كان على نظام واحد من كل شيء يقال جاء القوم نسقا وزرعت الأشجار نسقا، وشعر نسق، مستوى البنية، حسن التركيب ودر ونسق منتظم والمنسق يقال كلام نسق متلائم على نظام واحد"⁽¹⁾.

ونجد قاموس "المحيط" أشار إلى أن "النسق الكلام، عطف بعظة على بعض، والنسق محركه، ما جاء من كلام على نظام واحد، ومن الثغور المستوية ومن الخزر المنظم، وكوكب الجوزاء أو هي نظمتين ومن كل شيء ما كان على طريقة نظام عام والتنسيق هو التنظيم"⁽²⁾، وباستقراء جملة هذه التعاريف نجدها لا تبتعد عن كون مفهوم النسق هو عبارة عن نظام واحد تتميز به كل الكائنات، وعليه يكون معنى النسق مجموع ما يحمله من معاني في اللغة العربية نظام الأشياء وتتابعها وتلاؤمها وتتاليها في نظام واحد.

ب- مفهوم النسق اصطلاحاً

تعددت وتنوعت التعاريف التي تشير إلى مفهوم النسق لذا ليس هناك تعريف للنسق متفق عليه فتعريفاته تجاوزت العشرين "إذا نجد قول "كلنر" (Kellner) يرى أن هناك أنساقاً منظمة تتحكم بمتعتها، ولذا فإننا نستمتع وفقاً لمقاييس اجتماعية، مثلما نتحفظ وفقاً لشروط مماثلة تم تدريبنا على عدم الانطلاق منها"⁽³⁾، إذن "النسق يتحكم بمتعتها لأن لديه مقاييس منظمة وجب على الفرد إتباعها والحفاظ عليها وفقاً لشروطها، كما أن النسق مكون من مجموعة من العناصر أو من الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز أو مميزات بين كل عنصر وآخر"⁽⁴⁾، أي أن "النسق يتكون من عناصر مترابطة ببعضها وكل عنصر لديه ميزته الخاص به إذ يمكن استخلاص عدة خصائص للنسق من بينها قبوله من المجتمع لأنه يؤدي وظيفة فيه لا يؤيدها نسق آخر، وبناء على هذه الخاصية يمكن أن نستنتج أن هناك أنساقاً فرعية تتولد من نسق عام فمثلاً المجتمع عبارة عن نسق عام يتولد عنه نسق

¹ - شعبان عبد العاطي عطية احمد حامد حسين جمال مراد حملي: معجم الوسيط، جمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية، ط 4، القاهرة 2005 ص 918-919.

² - محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: قاموس المحيط، مكتبة تحقيق التراث، ط2، البلد، 2009، ص 925

³ - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 2005، ص 24

⁴ - محمد مفتاح: التشابه والاختلاف نحو مناهج شمولية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1996، ص 158

سياسي واقتصادي ونسق علمي وثقافي وبناء على خاصيتين التساوي والاستقلالية تكون علاقتهما متساوية المسافة ومستقلة عن بعضهما البعض⁽¹⁾.

ومن هنا يتبين لنا أن للنسق العام أنساقاً فرعية تميزه والتي يجب أن نكون متساوية ومستقلة عن بعضهما في نفس الوقت.

نجد عند "سوسير" أنها قد تأتي في نظر مرادفه لمعنى البنية أو معنى النظام، بينما يبرر "الغذامي" أن كلمة نسق تستخدم كثيراً في الخطاب العام والخاص وتشيع في الكتابات بشكل كبير إلى درجة تشوه دلالتها وتبدد بسببها لأنها تأتي على نظام واحد⁽²⁾، أي في نظر "دي سوسير" "النسق معناه النظام كما تذهب يمني العيد بقولها أن النسق في نظرتها يتحدد إلى البنية ككل وليس في نظرتنا إلى العناصر، بل هي هذه العناصر بما ينهض بينهما من علاقات تنتظم في حركة العنصر خارج البنية غيره داخلها وهو يكسب قيمته داخل البنية وفي علاقته ببقية العناصر"⁽³⁾، ونفهم من هذا أن البنية هي التي تتحكم في إنتاج النسق وذلك من خلال انتظام بنيوي منسجم.

بينما "الغذامي" يرى أن "النسق يحدد عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد، والتي لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، ويجب أن تتسم بعدة صفات منها أن يكون نسقان يحدثان معا وفي آن واحد وأن يكون المضمرة منها نقيضاً ومضاداً للمعنى، ولا بد أن يكون النص جميلاً ويستهلك بوصفه جميلاً وأن يكون النص جماهيرياً ويحظى بمقروئية عريضة، ولذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي الثقافي"⁽⁴⁾، إن النسق يحدد عن طريق وظيفته ولا بد أن يكون جماهيرياً يتصف بعنصر الجمال لأن الجمال يحفز على فهم النص.

¹ - محمد مفتاح: التشابه والاختلاف نحو مناهج شمولية، ص 159

² - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، ص 76

³ - يماني العيد: في معرفة النص دراسة في النقد الأدبي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1983، ص 32

⁴ - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، ص 78

"إن النسق باعتباره كلا موحدًا هو نقطة البداية التي يمكن الانطلاق منها، وتحديد العناصر المكونة له، إذ أن محتوى الكلمة لا يحدده في التحليل الأخير، تحتويه بل ما يوجد خارجها، و"دي سوسير" لا يقصد بالخارج الأنساق الخارجية الغريبة على النسق الأدبي، بل بقية النسق بمعنى آخر تحدده علاقتها ببقية الوحدات داخل النسق، أما بالنسبة للبنويين والماركسيون ينادون بوجود علاقة بين النسق الأدبي والأنساق الأخرى غير الأدبية كالإقتصادية والاجتماعية"⁽¹⁾، ومن هنا نستنتج اتجاهين مختلفين الأول يرى وجود ارتباط كبير بين الأنساق الخارجية والنسق الأدبي أما الموقف الآخر أي البنويون يرون أن النسق يحدد المعنى انطلاقًا من الداخل، وكل موقف لديه وجهة نظره الخاصة.

والنسق من حيث أنه "دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة مصنوعة من المؤلف، ولكنها منغمسة في الخطاب، كما أن النسق ذو طبيعة سردية يتحرك في حركة متقنة، ولهذا فهو خفي ومضمر، وقادر على الاختفاء دائماً، ويستخدم أقنعة كثيرة وأهمها قناع الجمالية اللغوية، وعبرها تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه المظلة الواقية"⁽²⁾، نفهم من هنا أن النسق ذو طبيعة سردية لا نستطيع فهمها بطريقة مباشرة، لأنه يستخدم أقنعة كثيرة يختفي خلفها.

وفي الأخير يمكننا القول على الرغم من اختلاف هذه التعاريف واختلاف الباحثين في تقديم مفهوم موحد للنسق، إلا أن الباحثين توصلوا إلى أن النسق يحدد عبر وظيفته النسقية التي لا تحدث إلا في مقام محدد ومقيد.

¹ - عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنية إلى التفكيك، عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1998، ص 181

² - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، ص 79

2- مفهوم الثقافة

أ- مفهوم الثقافة لغة

الثقافة مصطلح زبني تعددت مصادره ومكوناته وكذا تعريفاته، كما لقيت اهتماما كبيرا من الجانب الأدبي والنقدي وحظيت بمكانة مرموقة في الآداب العالمية، ومن بين مصادر الثقافة العامة نجد اللغة التي هي المصدر الأساسي للثقافات بشكل عام، فلكل شعب لغته الخاصة والتي تتكون منها حضرته، وتنتقل بها هذه الحضارة إلى الشعوب الأخرى، وإن أردنا معرفة المفهوم اللغوي للثقافة يجب علينا العودة إلى عدة معاجم من بينها معجم "الرائد" بمعنى "ثقف وثقف وتعني الحذف والمهارة والإحاطة بالفنون والآداب وبشؤون الحياة والناس"⁽¹⁾.

ب- مفهوم الثقافة اصطلاحاً:

لقد تعددت المفاهيم الاصطلاحية الثقافية، ربما رجع ذلك الاختلاف إلى نظرة كل واحد إلى الثقافة تبعاً لمجاله وتخصصه ومعارفه الثقافية، ولكن عند دراستنا لهذه التعاريف، نجد تقارب أو تشابه كبير فيها، فالثقافة تطورت وظهرت بشكل كبير، فأصبحت تشغل اهتمام المفكرين والنقاد، ولم يكتف هذا الأمر، كما أصبح لديها مركز خاص يدعى بالدراسات الثقافية.

"إن الثقافة تعبر عن الناس وفي الوقت ذاته هي أداة هيمنة، وهو تداخل أساسي له قيمة مركزية في الدراسات الثقافية"⁽²⁾، ومن هنا يتبين لنا أن الثقافة هي التي تسلط على الإنسان وتقرض نفسها عليه.

أما الدراسات الثقافية كان محور اهتمامها منصبا على تحليل موضوع الثقافة، حيث وصفتها بأنها "بنية أساسية في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية"⁽³⁾، إذن الدراسات الثقافية تركز على أهمية الثقافة في تشكيل وتتميط التاريخ.

¹ - جبران مسعود الرائد: معجم لغوي عصري، باب الناء، دار العلم للملايين، ط 1 بيروت، 1992، ص 259

² - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، لبنان، 2008، باب الناء، ص 36

³ - يوسف محمود عليمات، النسق الثقافي (تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي)، ط 1، الأردن، 2015، ص 10.

كما حاول عدد من النقاد الغربيين تقديم مفاهيم خاصة بالثقافة انطلاقاً من الانشغالات النقدية أو العلمية التي يهتم بها هؤلاء النقاد فالثقافة عند تايلور (E.B. Taylor) تعني "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون، والعرف، وجميع المقدمات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث أنه عضو في المجتمع"⁽¹⁾، إذن فالثقافة هي عبارة عن وسيلة للاطلاع على الحضارات والمعارف الإنسانية.

أما عند ريموند ويليامز (Raymond Williams) يرى أن "الثقافة تتضمن تنظيم الإنتاج وبناء الأسرة وإنشاء المؤسسات التي تعبر عن العلاقات الاجتماعية أو تتحكم بها والخواص المميزة التي يتواصل أفراد المجتمع من خلالها بعضهم مع البعض"⁽²⁾، إذن إن الثقافة عبارة عن تنظيم للإنتاج، وهو أهم شيء يستطيع المجتمع التواصل مع بعضهم.

ويرى "كليفورد غيرتز" (Clifford Geertz) أن "الثقافة ببساطة هي مجموعة القصص التي نرويها لأنفسنا عن أنفسنا وانطلاقاً من هذه المفاهيم فإن الدراسات الثقافية تهدف إلى تناول موضوعات تتعلق بالممارسات الثقافية وعلاقتها بالسلطة"⁽³⁾.

إذن نستنتج أن الثقافة جاءت من أنفسنا من خلال القصص التي نؤلفها عن أنفسنا، فهي إحدى المفاهيم الشائعة والمستخدمه في النقاش المعاصر عن المجتمع والفنون، ذلك أن هذا المفهوم استخدمه أناس مختلفون، فعلماء الأنثروبولوجيا يرون "الثقافة تشير إلى نموذج المعتقدات وقيمتها وهبته ما يعكس في الحرف اليدوية والأغراض والمؤسسات التي تمررها من جيل إلى جيل"⁽⁴⁾، إذ قدموا لها تعريف على أنها اسم جماعي لجميع النماذج السلوكية المكتسبة اجتماعياً والتي يتم نقلها عن طريق الرموز نظراً إلى أن الاسم يطلق على جميع الإنجازات المميزة للجماعات البشرية، يؤكد تعريف "كونراد فيلب كوتاك" (Conrad Philip Kotak) "الثقافة تضم سلوكاً محكوماً بالقواعد

¹ - يوسف محمود عليما، النسق الثقافي (تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي)، ص 11.

² - يوسف محمود: عمليات النسق الثقافي، ص 10

³ - المرجع نفسه، ص 11

⁴ - ارثر ايزابرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويس، المجلس الأعلى

الثقافة، ط 1 القاهرة، 2003 ص 191

ومشاركاً يقوم على الرمز ويتم تعلمه، وكذلك معتقدات يتم نقلها عبر الحضارات، فكل شخص يتم تهذيبه ليس فقط الأفراد الحاصلين على تعليم الصفوة فالجنس البشري (Homo) له القدرة على التنقف، إلا أن البشر يعيشون في ثقافات معينة، حيث يتم تربيتهم على القدرة الإنسانية للتعلم الثقافي واستخدام اللّغة والرموز⁽¹⁾.

يعرفها "الغذامي" بأخذه لمقولة "قيرتزر" "الثقافة ليست مجرد حزمة من أنماط السلوك المحسوسة كما هو التصور العام لها، وليست العادات والتقاليد والاعتراف، ولكن الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي هي آليات الهيمنة من خطط وقوانين وتعليمات لطبخة جاهزة التي تشبه ما يسمى بالبرامج في الحاسوب، ومهمتها هي التحكم بالسلوك"⁽²⁾، وعليه نستنتج أن الأنثروبولوجيا تحتفظ بتاريخ حيوي وعريق من العلاقة والارتباط بالثقافة وتختلف هذه العلاقة وتتمايز عن جميع صور وأنماط علاقات العلوم الأخرى بالثقافة.

كما قدم لنا "إدوارد سعيد" مساهمة جلييلة في مجال الثقافة شهد له العالم بها، بدءاً من محاضراته التي دهى لإلقائها في هيئة الإذاعة البريطانية، كما نجح في إدخال مفهوم الثقافة إلى العربية، إذ كثيراً ما اختلط هذا المفهوم بمفهوم الحضارة، بل إن بعضها ما زال يعتبر كلمة "حضارة" أرفع مستوى من الثقافة"⁽³⁾.

وينسب "ماثيو أرنولد" (Mathieu Arnold) في مقالته "الثقافة والفوضى" بأنها "أفضل ما قيل وما حال في الفكر، وكذلك قوله أن الثقافة معبر إلى الجمال والإشراق وباختصار فقد آمن أرنولد أن الثقافة قيمة عالية جداً تمتلكها صفوة المجتمع، وهي أشبه برسالة تحملها هذه الصفوة لتشيع لروحها بين الجماهير علها تكون خير مناهض لجبروت الحياة المادية

¹ - ارثر ايزابرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ص192

² - عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص74.

³ - إدوارد سعيد، الثقافة والمقاومة، تر: علاء الدين أبو زينة، دار الآداب، بيروت، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة،

المهيمنة⁽¹⁾، ويتبين لنا انه من خلال الثقافة تستطيع رأيه العالم جميلا متناسقا وذلك عن طريق جملة من الرموز النسقية الموجودة داخل كل مجتمع.

نجد أن الثقافة في حد ذاتها فكرة خلافية تطورت عبر العصور، إذ كتب "ريموند" وتلميذه "تيري ايغيلتون" (Thierry Eagleton) في مفهوم الثقافة كتابين مهمين والذي يبين من خلالها طبعة ووظيفة وحدود الثقافة، كما أن الثقافة من أكثر المفاهيم استعصاء لان لها معاني محكومة بسياقي الزمان والمكان، ومن جهة أخرى نرى عمق التعريف عند "دونيس" الذي لم يفرق بين الثقافة والحضارة فالحضارة واحدة، أما الثقافة مرتبطة بالأمة واحدة ومعينة ويمكن وزمان محددين فعلى سبيل المثال هناك الثقافة الألمانية والإسبانية وغيرها⁽²⁾، فنستنتج ان الثقافة مرتبطة بالزمان والمكان وهي محكومة بها.

من هنا نستنتج أن الثقافة مفاهيم متعددة وهذا التنوع نابع من التوجهات النظرية واغلبها تجمع على أن الثقافة عبارة عن نسق كلي من الأفكار والعادات والتقاليد والأعراف وأنماط المعيشية، وهي عبارة عن كل اجتماعي مكسب تراكمي مستمرة ينتشر بين أفراد المجتمع ويحدد نوع استجابتهم.

3- مفهوم النسق الثقافي

إن الأنساق الثقافية على اختلافها وتنوعها في النص الأدبي ذات أهمية بالغة في إنتاج الدلالة على أن هذه الأخيرة تعبر عن نظام ثقافي منغمس في ثنايا النص، فالأكيد أن الدلالة النسقية والجمال الثقافية لا تظهر بشكل كلي في النص، لأنها لا تنتج عن قصيدة المبدع.

وتعد الأنساق الثقافية عند "عبد الله الغدامي" "أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وكلما رأينا منتوجا أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمرة الذي لا بد من كشفه والتحرك نحو البحث عنه

¹ - إدوارد سعيد، الثقافة والمقاومة، ص8.

² - عبد النبي اصطيف، النقد الثقافي إلى أين، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1980،

إجابة سريعة وواسعة تبنى عن محرك مضمر يشبك الأطراف ويؤسس للحبكة النسقية، و قد يكون ذلك في الأغاني أو في الأزياء أو الحكايات الأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت كل هذه الوسائل وحيل بلاغية جمالية تعتمد المجاز والتورية وينطوي تحتها النسق ثقافي تاريخي المضمر ونحن نستقبلها لتوافقه السري وتواطئه مع نسق قديم منغمس فنيا⁽¹⁾.

إذن من هنا يتبين لنا أن الأنساق الثقافية أنساق أزلية موجودة منذ القديم، وهي تفرض نفسها على مستهلكها، وذلك من خلال الاختفاء وراء قناع الجمالية اللغوية التي ينطوي تحتها النسق الثقافي.

إذن "النسق الثقافي هو نسق معرفي اجتماعي فكري يحمل كل ما تفرزه الثقافة في النص أو الخطاب وله حضور، أما بالنسبة لـ "غيرتس" (Geerts) فمفهومه للنسق يتجاوز مفهوم البناء الاجتماعي الذي يعتبر مجموعة من الأنظمة المحسوسة والأدوار والأنماط والعلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد الملموسة، كما أنه يتجاوز أبعاد التجريدية والتصميمية لمفهوم البنى الشعورية الثابتة التي تحكم البنية الاجتماعية من منظور "ليفي شتروس"، وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بأن مفهوم النسق الثقافي يقع في منطقة وسطى بين البناء الاجتماعي والبنية الكامنة في العقل الإنساني، وذلك لجمعه بين وظيفة التفسير والاستيعاب للتجربة الإنسانية من جهة وبين وظيفة التأثير والتحكم في سلوك الأفراد من جهة أخرى"⁽²⁾.

كما اعتبره أيضا "مفهوم يشمل الأنساق الثقافية إلى جانب شبكة واسعة من المؤسسات والممارسات والأفعال والتمثيلات كما انه يتجاوز طابع الرسوخ والثبات والتماسك والتناغم الذي يميز الأنساق الثقافية فهذه الأنظمة في حركة دائمة من التشكل والتحول المتسمرين"⁽³⁾.

¹ - ينظر: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 80

² - ينظر: سمير الخليل: دليل المصطلحات الدراسات الثقافية، النقد الثقافي مراجعة سمير الشيخ، دار الكتب العلمية، دط،

بيروت، 1971، ص 294

³ - المرجع نفسه، ص 295.

ومن خلال هذا يتبين لنا أن "غيرتس" يعني بالنسق الثقافي مجموعة من النظم ذات بعد ثقافي كما هو البناء الاجتماعي للأفراد حيث يرى بان النسق هو الأداة التي تتحكم في سلوك الفرد وتملي عليها التعليمات التي يتبعها.

وقد استخدم "روبيرت شولز" مصطلح النسق الثقافي في سياق تشديده على ضرورة قراءة النص في علاقتها بالأنساق الثقافية للقيم وهو يعني بذلك مفهوم الأيديولوجيا كما يقول⁽¹⁾، ويؤكد الأنثروبولوجي "غريتس" أن مفهوم النسق من نتاج حقلين أساسين هما الأنثروبولوجيا والنقد الحديث وتحديدا من نتاج التداخل الثري بين هذين الحقلين ووجه "كليفورد غيرتس" بحثه نحو النظر إلى الأنظمة الاجتماعية الحاكمة للأفراد والمجتمعات بوصفها للأنساق الثقافية فهو يعالج الدين بوصفه نسقا ثقافيا ويتناول الأيديولوجيا بوصفها نسقا ثقافيا⁽²⁾، إذن نفهم من هنا أن العنصر الأيديولوجي يرتبط بالأنساق الثقافية التي هي عنصر أساسي في التحليل الثقافي للنص، كما يمكننا تحديد مفهوم الأنساق الثقافية بأنها نظم بعضها كامل وبعضها ظاهر في أية ثقافة من الثقافات وتتفاعل في هذه النظم العلاقات المجازية عن تذكير والتأنيث الثقافي والعرق والدين والأعراف الاجتماعية والجنود السياسية والتقاليد الأدبية والطبقة وعلاقات السلطة التي تحدد المواقع الفاعلة للذوات وهذه النظم ذات صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الإبداعي والفكري وطرائق تلقيه. والأنساق الثقافية لا تقتصر على الأدب الروسي أو المعتمد في الثقافة ما وإنما تتجاوز ذلك الأدب غير الروسي أو غير المعتمد الشعبي⁽³⁾، فالأنساق الثقافية عبارة عن مجموعة من النظم ذات بعد ثقافي كما أنها تمارس لعبة الخفاء والتخلي في الحركة تفاعلية تتجاوز المظاهر الثقافية تحت تأثير مركزية السلطة.

¹ - ينظر: سمير الخليل: دليل المصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ص 295

² - ينظر: نادر الكاظم: تمثيلات الأخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ط1، لبنان، 2014 ص 95

³ - ينظر: ضياء الكعبي: السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2005، ص 23.

المبحث الثاني: الثقافة والنقد الثقافي

يعد النقد الثقافي من أهم الظواهر الأدبية التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد، وقد جاء كرد فعل على البنيوية اللسانية والسميائيات التي تعني الأدب كظاهرة لسانية شكلية وظاهرة فنية جمالية فقد بات النقد الثقافي أشكالا مركبا يحتاج المناقشة والدراسات من أجل بناء أصله بالمنتج الثقافي، ولكي يدخل مع ظروب النقد الأخرى مثل النقد الأدبي والنقد الفني والنقد الفلسفي.

فحسب جامعة برمنغهام الذي أنشأه "ريتشارد هوغارت" (Richard Hogart) و"ستيوارث هول" (Stewart Hole) قد غادا بؤرة الحركة النقدية ومنشأ النقد الثقافي، فمنذ نشأته عمل على نهضة التعريفات الثقافية وتميز برفضه للهيمنة السائدة⁽¹⁾، فمصطلح النقد الثقافي أصبح له مكانة هامة في تداول عبر المفكرين والأدباء والنقاد وأنشأت عدة دراسات نقدية مراكز لدراسة هذا النقد، فنجد عند "فنست ليتش" (Venist Leetch) قد سمي مشروع النقد باسم النقد الثقافي وجعله مرادفا لمصطلحي الحداثة وما بعد الحداثة، حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب، وهذا ليس تغيرا في مادة البحث فحسب ولكنه أيضا تغير في منهج التحليل سيخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسسية من دون تخطي مناهج التحليل الأدبي النقدي⁽²⁾.

وقد امتاز النقد الثقافي عنده بثلاث خصائص أهمها أن لا يوطر النقد الثقافي فعلته تحت إطار التصنيف المؤسسي وينفتح على مجال عريض من الاهتمامات. ومن مناهج تحليل النصوص⁽³⁾ ودراسة الخلفية التاريخية إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسسي.

وأخيرا إن الخصائص تميز النقد الثقافي المابعد البنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصية.

¹ - عبد النبي اصطيف: النقد الثقافي إلى أين، ص 16

² - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، ص 31

³ - المرجع نفسه، ص 32

وهناك من أرجح انتقال المشهد الأدبي العربي نتيجة تفاعل النقد العربي الحديث مع النقد الغربي الذي أنتج لنا نقداً جديداً وهو النقد الثقافي، وذلك إن جميع مشكلات هذا النقد في الغرب انتقلت إلى المشهد العربي الحديث من دون وعي منه، فإن مصطلح النقد الثقافي في المشهد العربي الحديث هو فقط ترجمة حرفية للكلمة الإنجليزية (Cultural Criticism) وهو في الحقيقة نشاط أو ممارسة تمتحن في معين الدراسات الثقافية التي تبناها وروج لها مركز جامعة برمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة، فالنقد الثقافي عبارة عن نشاط فكري يتجسد إنشاء لغويا ينسب إلى الثقافة التي تحدده بدورها وتقدم له الوظيفة وطبيعته وحدوده كما تساهم في تحديد هويته التي تميزه عن غيره من أنواع النقد الأخرى⁽¹⁾.

فيهتم النقد الثقافي بتحليل الأدب بما فيه ذلك الأدب الشعبي وأشكال الفن الأخرى فعندما ظهر هذا الأدب اهتم بعدة فنون، فهو اهتم بالأدب والنصوص وقم بدراستها بشكل فني وجمالي، فنجد أن هذا النقد حلل الأدب من جانب الرسم والعمارة والنحت والرقص والموسيقى والمسرح والفن السابع وفن الرسوم المتحركة ضمن سياقاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية⁽²⁾ مستلهمين في ذلك علم الاجتماع والفكر الفلسفي المادي ولاسيما الماركسية أما الثقافة فقد اهتمت بالظواهر الثقافية المعاصرة التي تعني أساسا بالصلات متبادلة بين إنشاءات إنسانية متنوعة.

ومن جهة نجد اهتمام الغرب بهذا النقد بحيث نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية عرفت النقد الثقافي على أنه يدير النصوص الأدبية والتركيز على الشأن الفني فيها، ففي كتاب "ارثر إيزا برجر" عرف النقد الثقافي على أنه نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته، كما فسّر الأشياء⁽³⁾، بمعنى أن نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات المتضمنة على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية، فإن النقد الثقافي له مهمة متداخلة ومترابطة متجاوزة، فهو يشمل أفكار ومفاهيم تتداخل مع نظرية الأدب والجمال والنقد وأيضا التفكير

¹ - عبد النبي اصطيف، النقد الثقافي إلى أين، ص 16

² - المرجع نفسه، ص 22

³ - ارثر ايزابرجر: النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ص 30-31

الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي، ومن هنا يتبين لنا أن هذا النقد واسع جدا يدرس عدة مجالات ونظريات مثل نظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية والأنثروبولوجية.

ومن جهة أخرى اهتم سمير الخليل بهذا النقد فقال عنه أنه ليس بحثاً أو تنقيباً في الثقافة، وإنما هو البحث في أنساقها المضمرّة وفي مشكلاتها المركبة والمعقدة، وبهذا فهو نشاط إنساني يحاول دراسة الممارسات الثقافية في أوجهها الاجتماعية والذاتية⁽¹⁾، بل درس كذلك تموضعاتها النصية، فبهذا نجد أن النقد الثقافي درس الثقافة واهتم بها بشكل كبير من حيث أنساقها.

فقد جاء النقد الثقافي ليستوعب المفهوم وينتج وعياً شاملاً لا يخص بلد ما أو ثقافة ما، بل يدعو إلى الاختلاف والتعددية، فقد استوعب النقد الثقافي أن المتحكّمات النسقية أو السياقية التاريخية، فقد مارست قهراً لعدة أنساق مغيبة ضمن الثقافة المتحكّمة الغربية الكبيرة أو ضمن الثقافات الصغيرة، فقام بإقصاء التصنيف التطبيقي للأجناس الأدبية والثقافية والثقافات المنتجة لها⁽²⁾.

أطل النقد الثقافي على مفهوم الثقافة وميدانها عبر الفضاء النقدي، فقام بإعادة طرح أسئلة الثقافة حول أفاقها ومفهومها، فنجد أن النقد الثقافي يتجه نحو المستقبل حين ينظر للثقافة على أنها منظومة التحرر من القيد أيّا كان⁽³⁾ ومن هنا نفهم أن النقد الثقافي قام بتحرير الثقافة من الطبقات والطبقية، ودعمها للتغير والتجديد والتوسيع في محتواها، وقد صار النقد الثقافي توظيفاً لذاكرة الثقافة غير مباشر للناقد التي من الممكن وصفها باللاواعية لتحريرها من الوعي المقيد في التفكير أفاق الثقافة الممكنة عوضاً من المستحيلة⁽⁴⁾،

¹ - ينظر: سمير الخليل: دليل المصطلحات، الثقافية النقد الثقافي، ص301

² - المرجع نفسه، ص301

³ - بشرى موسى صالح: بويطيقا الثقافة، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد،

2012 ص20

⁴ - المرجع نفسه، ص 21

فمن جهة نجد أن النقد الثقافي لا يدور حول الفن والأدب وإنما حول دور الثقافة في نظام الأشياء بين الجوانب الجمالية الأنثروبولوجية، فمن جهة يتناول موضوعات تتعلق بالممارسات الثقافية وعلاقتها بالسلطة (1)

وتجسيدا للممارسة الثقافية التي تعد الركن الأساسي في النقد الثقافي في دراسة الواقعة الثقافية تبرهن على أن السلطة لا تستهدف المثقف ذاتا وإنما تستهدف خطابه، وعندما نقول خطابه لا يعني نتاجه بصورة مباشرة، بل تعني تنتجه الأنساق الثقافية خارجية على النمط المؤسساتي (2)، وبهذا يتعامل النقد الثقافي مع الخطاب فيه مجرة من الدلالات المتحركة عبر الزمن، فهي لها دلالات أخرى لا علاقة لها بالنصوص الأدبية لها تداعيات لمعانيها وجمالية لغتها.

1- البناء الثقافي في الرواية

تعتبر عملية البناء الثقافي من العمليات الصعبة والمعقدة لكونها معرفة سلوكية على الأقل ومنتجة لسلوك معين، ذلك لتفاعلها وتأثيرها بمعطيات كثيرة وهذا يستدعي مراجعة ومتابعة دقيقة لعملية البناء الثقافي، كما يجب مراعاته ومتابعته في انسجامه مع الواقع الحياتي، فالبناء الثقافي شمل عدة مجالات وكما ساهمت هذه المجالات في بنائه وتطويره وتكوينه وبرزه، فتختلف مصادر البناء الثقافي باختلاف مجاله وممارساته الثقافية المتنوعة ومساهمته المعرفية في بناء عملية حضارية وفكرية وعلمية، فمن حيث الدراسة نرى أن هذا البناء مس الفكر والعلم والثقافة، وكذلك الجانب الديني وغيره من المجالات المتنوعة، واهتم بالجانب الروائي أو الجانب الأدبي للنصوص والخطاب، فيعد البناء الثقافي مصطلح متغير ومتنوع من حيث طبيعته.

يتكون مصطلح البناء الثقافي من كلمتين وهي "البناء" و"الثقافة"، معنى البناء وهنا نقصد به بحث تأصيل وقيام العملية الكاملة للجوانب الثقافية وهيكلتها وفق أفاق ومستويات

¹ - بشرى موسى صالح: بويطيقا الثقافة، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، ص 32-33

² - سمير الخليل: دليل المصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ص 274

تتعلق بالتفكير والسلوك والجوانب الإنسانية والحضارية ونحوها للفرد والمجتمع⁽¹⁾، وهنا نجد أن البناء أساس العملية الثقافية فهي تبحث على آفاق واسعة، أما الثقافة فكما نعلم أن هذا المصطلح له عدة تعريفات ولكن المصطلح الأقرب لهذا البحث هو يقصد به ذلك المركب الذي يضم المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والتقاليد وكل العادات والقدرات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع⁽²⁾.

من خلال هذا يتضح لنا أن الثقافة ندرسها على تنوع واختلاف مجالاتها، فهي تشمل كل الجوانب الحياة.

أ- البناء الثقافي

هو القاعدة التي تركز عليها تصرفات الإنسان وتعاملاته وأقواله، فما من فعل يقوم به الإنسان أو القول يقوله أو فكرة تجول بخاطره إلا ويكون ذلك تابعا من البناء الثقافي لشخصيته، فهذا البناء قد يضم توجهات فكرية أو عقيدة يعتنقها أو علم تعلمه أو طريقة تفكير اعتدها عقله من مناحي الحياة المختلفة⁽³⁾، فالبناء الثقافي له علاقة بطبيعة وتصرفات الإنسان، فهي أساس بناء شخصيته، وقد جاء في كتاب أثر التفكير في بناء الثقافي أن هذا البناء هو نظام متكامل من المعرفة والسلوك والاعتقاد والقيم التي تشترك في بناء إعداد الفرد والمجتمع من خلال التربية والفطرة والعبادة والأدوات المعرفية كالقراءة والمناقشة والاستمتاع والمشاهدة أو الأدوات التطورية كالبحث العلمي والتفكير الإبداعي وتفكير الناقد والتأليف⁽⁴⁾.

فنرى أن البناء الثقافي لا يخص فقط سلوك وقيم الفرد، بل له عدة وجهات أخرى كاهتمامه بالعلم والمعرفة من جانب الفكري والإبداعي للفرد.

من خلال الدراسات الثقافية فالبناء الثقافي هو ذلك الاحتكاك الثقافي وصف لثقافتين كما كانت قبل الاحتكاك إحداهما بالأخرى، لهذا فإن البناء الأساسي يلعب دورا هاما في تقييم

¹ - علي بن محسن الشويش: أثر التفكير في البناء الثقافي، دار مفردات للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، ص19

² - المرجع نفسه، ص 19

³ - نفسه، ص 22

⁴ - نفسه، ص22.

التأثير الذي أخذته الاحتكاك ومع ذلك فانه أيضا، يعد مفهوم طالما أنه يقودنا إلى افتراض وجود ثقافة تقليدية كانت غير متغيرة قبل الاحتكاك⁽¹⁾.

ويرجع مصطلح البناء الثقافي إلى اندماج ثقافتين، فيظهر التأثير بينهما والاحتكاك فكل ثقافة تأخذ جزء من الثقافة أخرى، وعلى هذا الأساس يتشكل البناء الثقافي، وكما أنها تعد نسقا ثابتا ومستقرا قبل احتكاكها بثقافة أخرى بمعنى أن ظواهر هذا الاحتكاك بين الثقافات والتحويلات الناتجة أمر شائع ومستمر، بحيث أنه سيكون من المستحيل تصور معنى البناء الثقافي في أغلب مناطق الانتوغرافية في العالم⁽²⁾، كما نعلم أن الانتوغرافية تقوم بدراسة الإنسان والثقافة أو الثقافات التي هي يصدد التطور، فكل هذا التقدم والتحول يغير مفهوم البناء الثقافي، وكذلك نجد أن البناء الثقافي له عدة علاقات ومعارف لا تخص فقط الإنسان، بل له عالم واسع يمارس فيه مفاهيمه.

ب- البناء الثقافي والحضارة

نجد أن العلاقة بين الحضارة والثقافة هي علاقة تلازم وتكامل، بحيث يقال أن الحضارة أي مجتمع أو ثقافة إنما تتمثل في القيم والمعاني والنظم التي تنطوي عليه حياته⁽³⁾.

إن الثقافة هي الركيزة والقاعدة التي تقوم عليها الحضارة إذا قصدنا بالثقافة المعنوية وبالحضارة المادية، فلا تقوم الحضارة إلا على يد الثقافة، فكلما زاد تطور البناء الثقافي زادت الحضارة في تطورها وإبراز نفسها، لذلك قلنا أن العلاقة بينهم تكامل.

ج- البناء الثقافي بالعلم

يرتبط البناء الثقافي بالعلم وخصوصا في عصرنا الحالي خاصة أصبح العلم هو الذي يستقبل ما تقدمه الثقافة من عون ومساعدة، فالثقافة ساعدت العلم كثيرا، وقد جاء في كتاب

¹ - سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية، ص60

² - نفسه، ص60-61

³ - علي بن محسن الشويش: اثر التفكير في البناء الثقافي، ص57

أثر التفكير في البناء الثقافي فهو يتأزر مع الثقافة من أجل خدمته القاسم المشترك بينهما، وهو البناء الثقافي للإنسانية⁽¹⁾، وهدفه إصلاح الأرض وإعمارها وبناء المعرفة والتعليم وقيام التربية.

د- الإنسان والبناء الثقافي والجانب المعرفي

إن توجيه الإنسانية نحو العلم والمعرفة أمر ضروري، بحيث أن الإنسان مطالب بالتخطيط والتنظيم واستثمار الوقت للوصول إلى الإنتاجية وبناء الصحة والقضاء على الأمية ومحاربة العقليّة الخرافية، لما أكرم الله سبحانه وتعالى الإنسان وجعل له حكمة ليدير أموره ويخطط لحياته ويسير الاستخلاف الذي لم يتحقق إلا بالحركة والعمل⁽²⁾.

هـ- البناء الثقافي والدين

يعتمد كثيرا البناء الثقافي في أسس تكونه على الدين وعلى الجانب الديني كأنه يقتبس من القرآن وآياته حكم ليطبّقها على الحياة، فإن تدبرها للآيات القرآنية وتظهر أثارها الإيجابية قد تأصل البناء الثقافي، فنجد أثر البناء في العقيدة والتوحيد كمثال قصة إبراهيم عليه السلام فعند دراستنا لها نسعى لمعرفة الله حق المعرفة⁽³⁾

و- البناء الثقافي في الرواية

إن الرواية قول ثقافي بامتياز لأنها المجال خاص لكل الميادين الثقافية والفكرية فالرواية التي لا تقوم على البناء الثقافي الفكري هي حكاية فقط تشكل وجها من وجوه الحالة الثقافية، تعد الرواية نتيجة لشكلها المفتوح لا منتهي وقدرتها على استيعاب الأسئلة والقضايا والتحويلات اللازمة لمرحلة الإنسان، لم تحظى الرواية بتوافق عند ظهورها، فقد كانت جنسا أدبيا فقط انضمت إلى تصنيفات الأجناس الأدبية إلى جانب الملحمة والتراجيديا أو الكوميديا فلم يكن معروف التداول بالنصوص الروائية.⁽⁴⁾

¹ - علي بن المحسن الشويش: اثر التفكير في بناء الثقافي، ص58

² - المرجع نفسه، ص61

³ - نفسه، ص62

⁴ - محمد برادة: زمن الرواية أفقا للشكل والخطاب المتعددين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة، دت، ص 12

إن ظهور البناء الثقافي قد غير مسارها فأبرزها فجعل الرواية تعتمد على الافتراض والتفاعل والامتصاص لتصبح نصا مستقلا في تركيبه الفني وخطابه ودلالاته، وهذه الخاصية ستلازم الرواية في رحلتها الرواية المعاصرة⁽¹⁾

لا تنفصل الرواية عن البنية الثقافية التي تنتجها فهي القاعدة الحسية والموضوعية التي تمدها بالقضايا والوسائل، وحتى الشعور السائد الذي يفرض سيطرته عليها سيستمر التحليل الثقافي باستراتيجياته المختلفة خاصة تلك التي تتمحور حول السرد الروائي بشكل خاص، فنحن عند دراستنا للبناء الثقافي فالرواية تستهدف عدة عوامل كالأنساق والعواطف وغيرها من العوامل التي تبنى عليها الرواية تلقي في تحقيقها المعاصرة إمكانات تمثيل الواقع وتفسر التجربة الداخلية، فتعتبر الرواية جزء من السرديات الكبرى التي تقوم بوظيفتها تمثلها للمرجعات الثقافية على اختلافها⁽²⁾.

فالرواية العربية المعاصرة اليوم تسعى لاستغلال الفضاء الثقافي أكثر كونه فضاء متسعا ومرنا وغني بالثقافات، فنجد أن السرديات العربية في مرحلة تطورها وازدهارها اهتمت كثيرا بالمكون الوصفي والسرد في قرأتها للنص الروائي، متأثرة بذلك بالدراسات السردية الغربية، فكانت الدراسة تقوم على الوصف والتعامل مع الخطاب السردى على أساسه دون النظر إلى بعده الثقافي وما يتضمنه من رموز وأنساق وخطابات وخصوصية جمالية⁽³⁾، فكانت الرواية العربية في بناءها عبارة عن رواية تقليدية فقط.

وكما أن الحديث عن الرواية التقليدية ينطلق من مفهوم محدد للنص الروائي وهو أنه نص تخيلي مغلق على نفسه يعبر بلغته عن معناه ودلالته دون الحاجة إلى مرجع خارجي⁽⁴⁾، فيقتل الإبداع والجمالية الأدبية للبناء الثقافي، فنجد مع تطور الرواية استخدام

¹ - محمد برادة: زمن الرواية أفقا للشكل والخطاب المتعددين، ص 13

² - عائشة لعبادلية: الرواية من المنظور الدرس الثقافي، مجلة آفاق العلوم، جامعة الخلفة، العدد التاسع، سبتمبر 2017، ص 231

³ - المرجع نفسه، ص 234

⁴ - سمير روجي الفيصل: الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، سوريا،

الروائي عبد الكريم ناصيف طابع رمزي وان الرموز لديه ليس بديلا من الواقع خشية التطابق إلى الارتقاء بالخيال.⁽¹⁾

فبعد أن كانت الروايات تطابق وتقليد استخدم الجانب الثقافي الذي أصبح بوابة للنصوص الرواية فحرك خيال الكتاب وحرك عالم الشخصيات ودخلت عليه بعض أسس جديدة لبناء الروايات.

وقد ركز إدوارد سعيد في كتابه الثقافة والامبريالية عنى الفرق بين الرواية الغربية والرواية العربية، فان ازدهار الرواية الغربية هي فقط سرد عام تجاوز حدود الذات الثقافية إلى فضاءات تقع خارجها⁽²⁾، وهنا نجد الرواية الغربية تطورت كثيرا واتخذت عدة موضوعات لم تهتم بالبنية الثقافية المغلقة وأخذتها من الخارج.

نشأ الجنس الأدبي الجديد وهو السرد العربي، فكلنا نعلم أن العالم العربي كان يعاني من عدة نزعات فترات الإسلام الأولى والعصر الأموي على أيدي القصاصين فما كان يميز الروايات الغربية على العربية كون الرواية في أوروبا في عصر اتساع الفضاء والامبريالي تطورت السردية المغلقة واستعمال الفضاء الخارجي وضمور دور الطبقات البورجوازية الأوروبية⁽³⁾.

¹ – المرجع سمير روجي الفيصل: الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية، ص 39

² – إدوارد سعيد: الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار النشر والتوزيع، ط4، بيروت، 2014، ص 28

³ – المرجع نفسه، ص28

الفصل الثاني:

تمظهرات الأنساق في الرواية

المبحث الأول: البنية النصية للرواية

1- تفكيك العنوان

2- أنساق الثقافة السودانية

المبحث الثاني: تمظهرات الأنساق الدنية والسياسية في الرواية

1- تمظهرات النسق الديني في الرواية

2- الأنساق السياسية في الرواية

3- النسق الأنثروبولوجي

4- العادات والتقاليد

5- الزواج

المبحث الأول: البنية النصية للرواية

1- تفكيك العنوان

يعد الغلاف الخارجي من أبرز المفاتيح النصية التي تثير الطريق للمتلقي لكشف الجوانب المجهولة في المتن، حيث يعد الغلاف رموزا وعلامات يجب الغوص في تفكيكها والاطلاع على دلالاتها، إذ يقول "حميد الحمداني" بأن "ليبوك" (Percy Lubbok) (1965-1979) نشر كتابه "سمعة الرواية"، ينطلق من أن الرواية هي شريحة من الحياة، ويضع اعتراضا افتراضيا يشير إلى أن أي محاولة لتفكيك عناصر الرواية يؤدي إلى إتلاف الحياة فيها، ويقول أن هناك العديد من الواد المختلفة الواضحة للعين المجردة تدخل في بناء الرواية، وهي من الضروري معرفة الغاية من وجودها، لهذا فالقضايا الفنية التي أثارها لبوك هي عبارة عن تساؤلات أولية حول بعض مكونات الرواية وأدواتها، كالعنصر الدرامي وتعددية الأساليب والزمن ولعل أهم ما قدم فيه جهدا علميا واضحا هو زاوية النظر أو الأشكال المختلفة للسرد⁽¹⁾، وهذا ما لاحظته الناقد "إدوين موير" (Edwin Muir) عند ما قال : إنه أي لبوك لا يكشف لنا ماهية الشكل (شكل الرواية) بين أنه من الواضح أنه يعني به شيئا يختلف عما نقصد به «البناء» هنا، فالشكل كما يفهمه يعتمد على ما يسميه (وجهة النظر)⁽²⁾.

نستطيع فهم شكل الرواية من خلال وجهة النظر، وكل إنسان لديه وجهة نظره الخاصة به، كما أن دراسة العنوان تنصب في قيمته (الصوتية والدلالية والتصويرية)، وعلى علاقته بالقارئ (لماذا يعني له، بم يذكره، كيف يتلقاه، كيف يتصرف به نافضا واختصارا)، وعلاقته بنص الرواية، وبعناوين الروايات المؤلف نفسه، أو النوع الروائي نفسه، أو العنصر نفسه كما يحدد "جيرار جنيت" (Gérard Genette) للعنوان أربع وظائف: وظيفة تعيينية

¹ - ينظر: حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع،

ط1، الدار البيضاء، 1991، ص 14

² - المرجع نفسه، ص 14

تعطي الكاتب اسما يميزه بين الكتب، ووظيفة وصفية تتعلق بمضمون الكتاب أو بنوعه أو بهما معا أو ترتبط بالمضمون ارتباطا غامضا، ووظيفة تضمينية أو ذات قيمة تضمينية تتصل بالوظيفة الوصفية وتتعلق بالطريقة أو الأسلوب الذي يعين العنوان به الكتاب، ووظيفة إغرائية تتصل بالوظيفة التضمينية وتسعى إلى إغراء القارئ باقتناء الكتاب أو بقراءته.⁽¹⁾

من خلال هذا القول يتبين لنا، أن لدراسة أي عنوان يجب أن نتطرق أولا إلى قيمته الصوتية والدلالية والتصويرية، ثم نذهب إلى دراسة وظيفته.

كما يشكل العنوان أول اتصال نوعي بين المرسل والمتلقي، ومن هنا فعلى المتلقي أن يقرأ العنوان من مستويين:

المستوى الأول: مستوى ينظر فيه إلى العنوان بوصفه بنية مستقلة لها اشتغالها الدلالي الخاص.

المستوى الثاني: مستوى تتخطى فيه الإنتاجية الدلالية بهذه البنية حدودها متجهة إلى العمل، ومشتبكة مع دلاليته دافعة ومحفزة إنتاجيتها الخاصة بها.⁽²⁾

والعنوان بما هو إشارة سيمائية تأسيسية قد يدفعك إلى أن تعيد قراءة شيء كان مألوف لديك بل هو جزء من ثقافتك، ولكنه يغريك بإعادة قراءته لأنه يفجر فيك طاقات جديدة، وكأنه من العنوان يبدأ فعل القراءة ومن ثم فعل التأويل.⁽³⁾ ومثال ذلك عنوان "عرس الزين" فهو عبارة عن عنوان يجذب القراء، لأن موضوع الزواج كلنا نعرفه ونعرف كيف يتم الزواج، كلنا نحفظ هذه الطقوس عن ظهر قلب، وكلنا نشاهد هذه الطقوس بشكل يومي متكرر لكن هنا تكمن عبقرية السارد الذي يحول الحادث اليومي والمألوف إلى موضوع سردي وإلى حبكة سردية ومفاجآت سردية إضافة إلى متعة مليئة بالإحالات والمفاجآت مثلا مفاجأة

¹ - ينظر: لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص126.

² - بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، جامعة اليرموك، ط1، الأردن، 2001، ص32.

³ - المرجع نفسه، ص32.

"عرس الزين" فالطيب صالح يفتح روايته بانتشار خبر العرس مع شروق الشمس، ومع عملية توزيع الحليب، أين قالت حليلة بائعة اللبن لآمنة: "وقد جاءت كعادتها قبل شروق الشمس، وهي تكيل لها لبنا بقرش، سمعت الخبر؟ الزين هو داير يعرس"⁽¹⁾. ولما انتصف النهار كان الخبر على فم كل واحد⁽²⁾. فهنا كان عرس الزين بمثابة مفاجأة على أهل القرية، فكان الناس يتداولون خبر عرس الزين في دهشة، ويقدمون رداً فعل وتفسيرات مختلفة، ومرد ذلك كون الزين أضحوكة القرية يمتاز بغرابته منذ ولادته، ولد ضاحكا، وظل كذلك طول حياته، لا يستطيع أحد أن يتكهن ما هو مقبل عليه، وقد تبرز عبقرية الروائي، كونه وظف نوعاً من العجائبية تظهر لنا المفارقة الحاصلة بين الأشخاص على أرض الواقع، وشخصية الزين الروائية، فكل الأطفال يستقبلون الحياة بالصراخ والبكاء، إلا أن الزين ولد ضاحكا "يروى أن الزين والعهد على أمه والنساء اللاتي حضرن ولادته، أول ما مس الأرض، انفجر ضاحكا"⁽³⁾. وبذلك فإنه يعطي لتلك الشخصية ومنذ الحروف الأولى للرواية نزعة غرائبية عجائبية.

كما يوجد عنصر التشويق والمتعة واللذة الحسية والنفسية وهذه هي العبقرية السردية، ليس العبقرية أن تدخلها في عالم الغرائب والعجائب والخرفات حتى يملأ قلوبنا ونفوسنا بالمتعة أو بالإثارة، فالسارد المتمكن لا يحتاج إلى كل هذا، حتى يثير انتباهنا ودهشتنا، يكفي أن ينتقي أو يختار، حياة من الواقع، وبعض اللقطات وحكايات وموضوعات مألوفة وبعبرتيه يحولها إلى متع ومفاجآت ولذة سردية، لذلك تحول على يد الطيب صالح الموضوع المألوف إلى موضوع غير مألوف، يمتاز بالتشويق والإثارة والمتعة⁽⁴⁾.

1- الطيب صالح، عرس الزين، دار العودة، بيروت، 1988، ص5.

2- المصدر نفسه، ص9.

3- المصدر نفسه، ص11.

4- ينظر محاضرة 21: تحليل رواية "عرس الزين"، لطيب صالح، كافة الحقوق محفوظة، الجامعة الإسلامية بغزة،

10 نوفمبر 2015 <https://www.iugaza.edu.ps youtube.com>

عند قراءتنا للرواية استنتجنا أن موضوع الزواج ليس مألوف كما كنا نضنه، فلكل منطقة أو بلد عاداته وتقاليده الخاصة به.

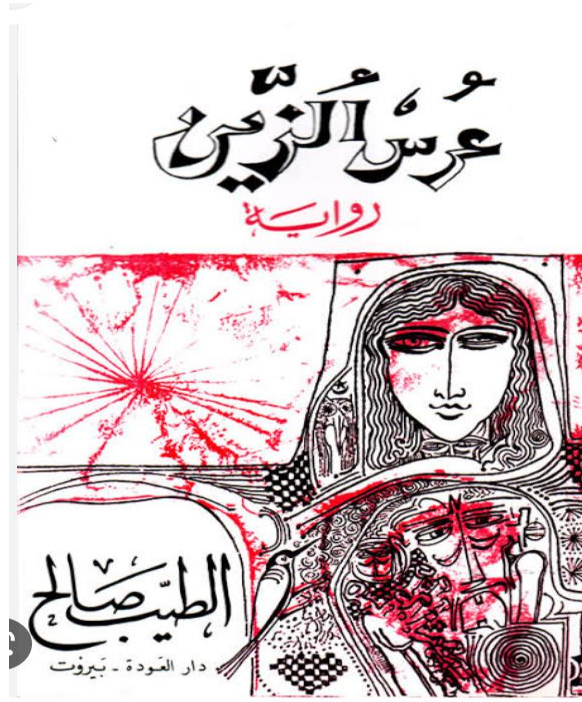
إن العنوان سمة الكتاب أو النص ووسم له وعلامة عليه وله، وفي هذا السياق يمكن أن نشير إلى أحدث الدراسة النقدية عن العنوان التي أكدت هذا المعنى، ففي العنوان مقصديه من نوع ما ربما تقوم هذه المقصدية إلى مرجعية ما سواء ذهنية أو فنية أو سياسية...، فالعنوان ظاهر وبارز ومعترض، فهو أول لقاء مادي. (فيزيقي) محسوس بين القارئ والكاتب أو القارئ بالكتاب فكأن العنوان يعترض ويظهر ويبرز أمام القارئ معلنا عن نفسه. (1)

كما يعد العنوان نظاما سيميائيا ذات أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شيفرته الرامزة، ومن هنا فقد أولى الباحث السيميائي، جل عنايته لدراسة العنوانات في النص الأدبي، وقد ظهرت بحوث ودراسات لسانية سيميائية كثيرة خصصت جزءا كبير منها لدراسة العنوان وتحليله من عدة نواح تركيبية ودلالية وتداولية، وآية ذلك أن العنوان هو أول عتبة يمكن أن يربطها الباحث السيميائي قصد استنطاقها بصريا ولسانيا، وأفقيا وعموديا. (2)

إن تناول موضوع قراءة الصورة البصرية، هو مساهمة في تكوين تلك الثقافة البصرية التي يجب أن يتصف بيها المثقف بصريا وهو ذلك الذي يتمكن من قراءة وتصوير الفعل البصري بكل ما يحمله من موضوعات ورموز ودلائل (الشكل، الإطار، اللون)، ومن نماذج هذه الصورة، غلاف الكتاب، باعتباره يعمل عناصر الثابتة.

¹ - بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، ص 31.

² - المرجع نفسه، ص 33



أ-الدلالة البصرية أو الأيقونة:

إن دلالة الظهور والبروز والاعتراض تشبه ما يهتم به النقد الحديث حول الصورة الأيقونية والحيز الذي يشغله من الصفحة، وتشكله البصري وتشكله الهندسي⁽¹⁾، ومن هنا نستطيع ان نقدم قراءة بصرية في صورة الغلاف الذي بين أيدينا.

يعتبر الغلاف الخارجي لأي عمل إبداعي مكتوب، أول واجهة مفتوحة أمام القارئ تهيئه لتلقي العمل الأدبي، وبالتالي فعلية تصميم الغلاف، لا بد أن تخضع لنوع من الدقة والعلمية فالعمل الروائي الذي بين أيدينا "عرس الزين" لاشك أنه خضع لمثل هذه العملية، ولتبيين ذلك سنحاول أن نقوم بقراءة بصرية لأهم مكونات هذا الفضاء الخارجي.

إن أهم ما نلاحظه ونحن نقوم بقراءة بصرية لواجهة الغلاف، هو هيمنة واستحواذ اللون الأبيض على أكبر جزء من هذه الواجهة مقارنة بالألوان الأخرى، بالإضافة إلى بروز الألوان أخرى كاللون الأحمر، كما يوجد الإطار العريض وباللون الأبيض يحتل الواجهة العليا

¹ - بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، ص31.

للغلاف مكتوب بداخله وباللون الأسود بخط أفخم وأبرز عنوان الرواية "عرس الزين" وتحتته بنفس الشكل ولكن بخط رقيق باللون الأحمر مكتوب "رواية" وهي إشارة إلى نوع العمل الأدبي⁽¹⁾.

هذا عن القسم العلوي للغلاف والذي يحمل ثلاث معلومات رئيسية، أما القسم السفلي فنلاحظ أنه يحتوي على أشكال هندسية، بروز إطار عريض ويلون أبيض ومكتوب بداخله باللون الأسود، اسم الكاتب: "الطيب صالح" دار العودة بيروت، كما يوجد إطار آخر أبيض مرسوم عليه زخارف باللون الأحمر، كما يوجد صورة لامرأة جميلة بالحجاب ورجل قبيح باللون الأسود والأبيض، ونلاحظ وجود نقاط أو بقع حمراء تتخلل هذه الصور.

أما ونحن نقوم بقراءة تأويلية لمحتوى الغلاف يجب أن نأخذ بعين الاعتبار بأن كل عنصر من العناصر المشكلة لهذا الفضاء الخارجي بما في ذلك الألوان تحمل دلالة معينة ولها مرجعيات داخل هذا المتن الروائي.

تحلل الأشكال الهندسية الجزء السفلي من الغلاف، فهي تمثل امتدادات تجريدية وقد، تحيلنا إلى مفاهيم تجريدية وإذا حاولنا الربط بين طبيعة هذه الأشكال التجريدية ودلالاتها وبين العنوان، نلاحظ أن هناك مقارنة بينهما إذ يحيلان إلى نفس الدلالة المرجعية فمثلا عنوان الرواية "عرس الزين"، وطبيعة الأشكال هي عبارة عن رجل وامرأة أي دلالة على العرس وعلى الزواج، أما في أسفل الغلاف فنجد أن الإشهار بدار النشر من خلال الاسم والعلامة الإشهار، وهو أمر مشروع ومشروط حيث يسعى الناشر من خلال هذا العمل الروائي إلى تقديم الجيد للكتاب، والإخراج الفني للغلاف خاصة بكونه إشهار للمؤلف ولدار النشر على الخصوص⁽²⁾.

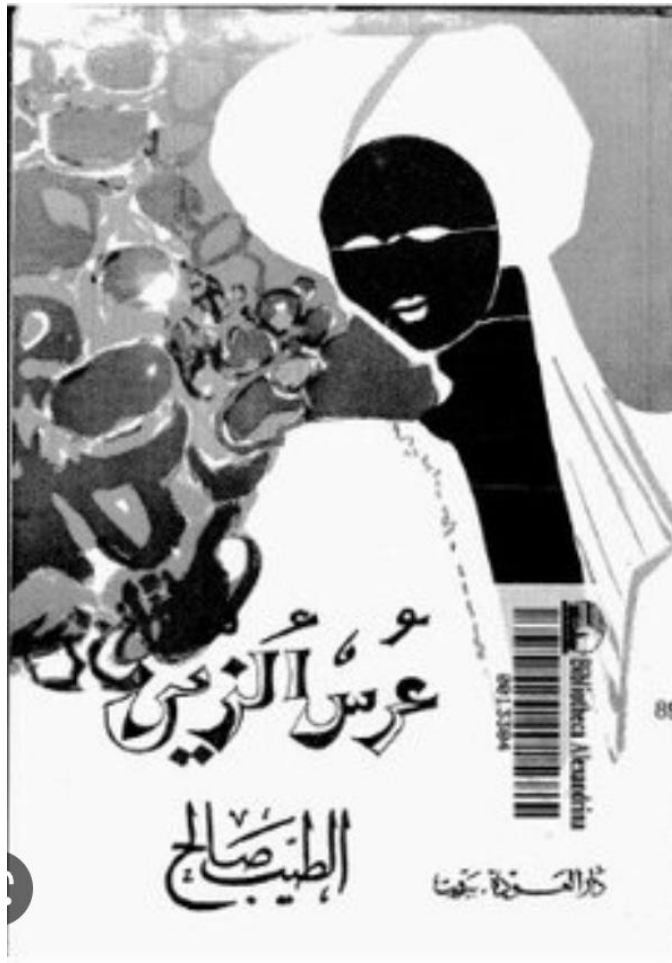
كما توجد صورة أخرى للغلاف: والشيء الذي نلاحظه في هذه الصورة هو عبارة عن مزيج من اللون الأبيض والأسود إلى الرمادي، كما يبرز رجل أسود يلبس عمامة بيضاء

¹- ينظر: محمد بن يوب: قراءة بصرية لغلاف رواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة، جامعة ورقلة

www.benhedouga.com، بتاريخ 2022/10/20

²- ينظر: المرجع نفسه.

يحتل الواجهة العليا للغلاف، بالإضافة إلى وجود زخارف باللون الرمادي تحيط بالواجهة العليا للغلاف، أما القسم السفلي يحتوي على اللون الأبيض والأسود، يبرز فيها إطار عريض وبلون أبيض يحتل الواجهة العليا للغلاف ومكتوب بداخله وبلون أسود وبخط أفخم عنوان الرواية: "عرس الزين" تم تحته وبنفس الشكل ولكن بخط متوسط يحمل اسم الكاتب : الطيب صالح وأمامه بخط رقيق نلاحظ وجود اسم دار النشر وهي "دار العودة" بيروت والتي يسعى الناشر أيضا من خلاله إلى التقديم الجيد للكتاب⁽¹⁾.



¹ - محمد بن يوب: قراءة بصرية لغلاف رواية غدا يوم جديد، عبد الحميد بن هدوقة.

ب- قراءة في دلالة الألوان :

بناء على ما سبق ذكره، نلخص إلى وجود رأيين في التعامل مع اللون من جملة آراء واسعة يتعذر الإمام بها، أما عندما نصل إلى مستويات قراءة دوال الألوان في ضوء التصورات التي أشرنا إليها سابقاً، فإن أول ما يلفت انتباهنا هو صعوبة الإقرار بوجود منهجية محددة للقراءة الكفيلة باستيلاء الغرض كاملاً من كل قراءة اللون سواء على صعيد التفكيك والتحليل أو على صعيد التفسير والتأويل والتلقي.⁽¹⁾

إن أول ما يستدعي انتباهنا ونحن نتناول غلاف هذا النص الروائي "عرس الزين" هو استحواذ اللون الأبيض، وسيطرته على الجزء الأكبر من هذه المساحة للإشهار به، وحتى وإن لمسنا حرص مصمم الغلاف على إحداث نوع من التطابق بين الألوان والمواضيع الممثلة، فسيادة اللون الأبيض يحمل دلالة معينة وسط منظوماتنا الثقافية والاجتماعية، وهي دلالة على السلم والسلام والحرية، وقد ورد في لسان العرب لابن منظور، بأن اللون الأبيض لون محمول ويرمز إلى الصلاح والدين، فمثلاً في الغلاف الثاني للرواية، يوجد رجل يلبس عمامة بيضاء، وهو أسود اللون وهنا تكون دلالة اللون أكثر إيضاحاً وعمقاً، خاصة عندما انبعث من وسط آخر مخالف له ومناقض له، وهو اللون الأسود، وتزداد دلالة هذا البياض أيضاً عندما ترتبط ببعض القرائن، كما يمثله هذا الغلاف، إذ أن اسم المؤلف وعنوان النص الروائي كتباً وسط هذه المساحة البيضاء، وهذه دلالة على أن هناك مساحة لأمل يمثّلها المؤلف من خلال هذا الغد الجديد، الذي سيكون حتماً أكثر سلماً وأماناً من هذا الواقع الذي تميزه الدماء والدموع.⁽²⁾

أما اللون الأسود الذي كتب به اسم المؤلف وعنوان النص، ولون الرجل ورسم الشخصيات، فنحن نعلم أن اللون الأسود يحمل دلالة اليأس والحزن والتشاؤم وهو لون منبؤ ومكروه داخل محيطنا الثقافي والاجتماعي، لكن وسط هذا الغلاف فهو يحمل دلالة أخرى،

1- محمد بن يوب: قراءة بصرية لغلاف رواية غدا يوم جديد، عبد الحميد بن هدوقة.

2- المرجع نفسه.

إذ إن الكتابة بالأسود وسط خلفية بيضاء غرضه لفت انتباه القارئ والتأكيد على دلالة هذا البياض من خلال اللون الأسود.⁽¹⁾

أما دلالة اللون الأحمر في ثقافتنا عادة ما يحيل إلى الدم والحرب أو الاقتتال ونحن كقراء، ومن خلال قراءة أولية افتراضية لغلاف النص الروائي، يمكن أن نفترض أن موضوع النص الروائي يتعلق بصراع ينتهي إلى إسالة الدماء، وإذا حاولنا الربط بين دلالة هذا اللون ومضمون النص الروائي، نلاحظ أن هناك قرابة بينهما، أن الرواية ومن خلال الشخصية المركزية هو "الزين" من خلاله يحاول استرجاع أهم الإحداث والذكريات المتعلقة بحياته سواء الاجتماعية العنصرية، فهو يحب الفرح والضحك ويزرع الأمل والابتسامة في القلوب، وبين هذا الحدث وذلك، فإن الشيء المميز هو ذلك الصراع الدموي، وتلك الدماء التي سألت ويصرح بذلك الطيب صالح إذ يقول: فصرخت صرخة سمعها حاج إبراهيم أبو نعمة في رابع بيت وهو جالس على مصلاته يشرب القهوة الصباح امتلأت الدار بالناس رجالا ونساء وحملوا أم "الزين" فاقدة الوعي، وانشق الناس نصفين، نصف راح مع الأم، ونصف أغلبهم مع الرجال التفوا حول "الزين"، كان على رأسه جرح كبير يصل إلى قريب من عينيه اليمين، وصدرة وتوبه وسرواله ملطخة بالدم.⁽²⁾

إذا فالصراع الدموي، وحالة اليأس والأمل التي يحملها أحداث الرواية سواء منها قريبة أو بعيدة هو الذي يبرز السيطرة هذا اللون على معظم أجزاء الغلاف.

بعد هذه القراءة البصرية في غلاف النص الروائي "عرس الزين" لطيب صالح بالتركيز على تحليل وتفكيك أهم عناصر هذه الصورة البصرية - الغلاف - من أشكال وألوان، وهذا دون الخوض في دلالة العنوان باعتباره عنصرا من عناصر هذه الصورة البصرية.

¹ - محمد بن يوب: قراءة بصرية لغلاف رواية غدا يوم جديد، عبد الحميد بن هذوقة.

² - الطيب صالح، رواية عرس الزين، ص43.

2- أنساق الثقافة السودانية

تعد اللّغة من أهم الأنساق الثقافية، فهي بمثابة الوعاء الذي يحتوي على جميع الأنماط الثقافية وسمياتها، فكل ما يكتسبه الفرد ويتعلمه من أنماط يصل عقله ووجدانه من خلال اللّغة، كما أنه يعتبر الوسيط بين الأفراد والثقافة، ودورها في المجتمع لم يقتصر على اعتبارها أداة لاتصال بين أفرادها فقط بل أنها أصبحت تمثل جزءا أو عنصرا هاما من عناصر الثقافة، إن فهمها فهما وحيدا يتوقف على فهم أنماط الثقافة السائدة في المجتمع، لدراسة العلاقة الواضحة بين اللّغة والمحتوى الثقافي، لا يعني شيئا أكثر من أن اللّغة لها أساس ثقافي وأنه لا يمكن تحديد مفردات اللّغة ودلالاتها تحديدا دقيقا إلا بمعرفة البنية الثقافية لهذه المفردات.

حيث تعد اللّغة من أبرز مكونات الخطاب الروائي، فهي النصوص التي تخرج فيه مكوناته إلى المتلقي، تشكل اللّغة معلما بارزا ومهما في حادثة الرواية العربية، قبل إنهاء الحدود العقلي لذلك التحول من الرواية العربية التقليدية إلى الرواية العربية الحديثة.

لذلك عالم الطيب صالح عالم الريف السوداني وعالم القرية السودانية، لا يكاد يمل من تكرار هذا العالم في روايته، دائما مشدود إلى هذا العالم، عالم القرية السودانية بكل تفاصيلها بطبيعتها بإنسانيتها بحيوانها بخيرها وبشرها، بتناقضها حتى بلغتها العامة، التي أكثر منها الطيب صالح في هذه الرواية التي بين أيدينا، خاصة في الحوار ونجد منها في الرواية:

« يا ولد يا حمار . إيه أخرك؟».

و لمع المكر في عيني الطرفي:

« يا فندي سمعت الخبر؟»

« خبر بتاع إيه يا ولد يا بهيم ؟ ».(1)

« علي . أنت يعني قايل أنا ما بخلص قروشي منك، ولا فكرك شنو؟»

¹ - الطيب صالح، رواية عرس الزين، ص05.

«حاج عبد الصمد، كدى قول بسم الله وقعد نجيب لك فنجان جبنة».⁽¹⁾

كما نجد قول الزين «أنا مكتول في حوش محبوب».⁽²⁾

فاللغة العامية واللهجة السودانية، كادت أن تكون في كل صفحة من هذه الرواية، حيث أراد أن تصور كل شيء حتى لغتها العامية كي يشبع نهمه من الحنين إلى عالم القرية وأجوائها، لذلك تمثل القرية في الرواية شخصية البطل فهي تكاد تنازع "الزين" في بطولة الرواية، والصراع هنا لم يكن صراع الأشخاص، فهو صراع القرية مع ماضيها ومع حاضرها ومستقبلها، هذا هو الصراع الحقيقي، وهل تتغلب القرية على ذلك الصراع مع تناقضها ومع اختلاف أبنائها وتياراتها وصراعا مع الوافد الجديد لها، والثقافة الجديدة الوافدة إليها، والتي في النهاية تنتصر على كل هذه التناقضات والاختلافات عندما تتوحد في "عرس الزين".

يرصد الطيب صالح في روايته العلاقات الاجتماعية التي تشكل مشهد القرية، ويشير إلى مكانتها في التسلسل الهرمي الاجتماعي، ويبرز المنتجات الثقافية المرتبطة بالتغيرات الاجتماعية التي عرفتتها القرى السودانية في عقود القرن العشرين، كما عاش الطيب صالح مدة وجيزة في القرية السودانية، ما عاش حياة القرية السودانية إلى نهايتها، لم يكتمل لديه الفرح والمتعة بالقرية السودانية، لذلك كان دائما يحمل حنينًا وشوقًا إلى القرية وأجوائها وعالمها وأطلق على ذلك الشيخ "الحنين"، فالحنين شخصية غرائبية محملة بالكرامات وافتعال الخوارق، عندما هبط القرية نزل شيء بالخير على القرية، بشرهم بالزواج والخير⁽³⁾، فنجد في الرواية قوله: "ربنا يبارك فيكم يجعل البركة فيكم، وكأنما قوة خارقة في السماء قالت بصوت واحد: (أمين)، بعد ذلك تولت الخوارق معجزة تلوى معجزة، بشكل يأخذ بلب، لم ترى البلد في حياتها عاما رخيا مباركا مثل عام الحنين".⁽⁴⁾

¹ - الطيب صالح، رواية عرس الزين، ص 06.

² - المصدر نفسه، ص 17.

³ - محاضرة 21: تحليل رواية "عرس الزين"، لطيب صالح، كافة الحقوق محفوظة، الجامعة الإسلامية بغزة، 10 نوفمبر

2015 <https://www.iugaza.edu.ps> youtube.com

⁴ - الطيب صالح، رواية عرس الزين، ص 61.

فالحنين يشير إلى الموروث الصوفي عند السودان ولا يمكن لنا أن نتعامل مع الشخصية السودانية دون أن نفهم الشخصية الصوفية والحياة السودانية، والواقع السوداني وتاريخه، لا يمكن أن نقفز على المكون الصوفي الذي يشكل "المكون الأساسي في واقع السودان"⁽¹⁾، كان رجلا صالحا منقطعا للعبادة. يقيم في البلدة ستة أشهر في صلاة وصوم، ثم يحمل إبريقه ومصلاته ويضرب مصعدا في الصحراء ويغيب ستة أشهر ثم يعود، ولا يدري أحد أين يذهب.⁽²⁾ فلهذا هو يمثل السلطة الروحية، فهو رسول السماء وترجمان الغيب.

¹- محاضرة 21: تحليل رواية "عرس الزين"، لطيب صالح، كافة الحقوق محفوظة، الجامعة الإسلامية بغزة، 10 نوفمبر 2015. <https://www.iugaza.edu.ps/youtube.com>

²- الطيب صالح، رواية عرس الزين، ص25.

المبحث الثاني: الأنساق الدينية والسياسية في الرواية

1- الأنساق الدينية في الرواية

يستخدم مصطلح العبادة في الدراسات الأنثروبولوجية للدلالة على مجموعة من النظم الدينية، التي تتواطأ مع الكثير من الممارسات والطقوس والشعائر والعبادات في المجتمعات البدائية، تختلف مظاهرها من مجتمع لآخر، فهناك مظاهر العبادة الطبيعية وعبادة الأرواح وعبادة أرواح الأسلاف وعبادة مظاهر القوة الخارقة للعادة ولكل عبادة في هذه العبادات أشكالها الاجتماعية المختلفة والمتعددة الاختلاف⁽¹⁾. وتظل مظاهر هذه الاختلافات قائمة وترتبط ارتباطاً وثيقاً بإقامة وإحياء الشعائر⁽²⁾، فالجانب الديني هو الدراسات الشعائرية التي تدرس الثقافة الدينية لبلد ما.

وتعرف الشعائر بالأشكال والعبادات التي ترتبط بالنسق الديني وهذا لا يعني أن كل العادات المرتبطة بالممارسات الدينية تعتبر شعائر، فكثير من هذه العادات تكون أفعالاً دينية فضلاً عن اشتراكها في النشاط الديني واقرب مثال على ذلك الاحتفالات الدينية التي تشمل دائماً الجانب الشعائري والديني، ولا يمكن فصل سلوك شعائري عن الاعتقادات الدينية التي يؤمن بها الفرد والتي تلتزم القيام بالعبادات والفروض والالتزامات الدينية مثل الصلاة والصوم والزكاة وحج كما هو الحال عند المسلمين وما يتطلب القيام بهذه الممارسات من قواعد يجب مراعاتها مثل التطهير والوضوء⁽³⁾، يعني هذا مهما كانت الشعائر بسيطة أو معقدة، جماعية أو فردية تعتبر ترجمة للعمل الديني، وهي من تحدد طبيعة الدين، وقد اهتم الطيب صالح في روايته "عرس الزين" بالجانب الديني وأعطى له أهمية كبيرة، فنجدته تحدث عن شعائر الدين الإسلامي وبين لنا تمسك المجتمع السوداني بالدين، فأشار في الرواية إلى تعلم القرآن والصلاة والزكاة والصدقة.

¹ - ينظر: فاروق احمد مصطفى: دراسات في المجتمع المصري المولد دراسة العادات والتقاليد الشعبية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، مصر، 1980، ص191

² - المرجع نفسه، ص27

³ - نفسه، ص26

أ- الصلاة

وهي عمود الدين وركن الإسلام الثاني وتتجلى مظهر العبودية في أدائها على أعظم صورة حيث يضيع العبد أطرف أعضائه على الأرض تعظيما لربه ولا يضعها لأحد سواه⁽¹⁾. ففي الرواية نجد كل شخصية كيف اهتمت بجانب الصلاة.

نعمة:

التي تفرغت للجانب الديني واهتمت بها، وقال السارد "فعندما أخبرها أخوها أن تحدد مستقبلها قالت له كفاية القراءة والكتابة ومعرفة القرآن وفرائض الصلاة"⁽²⁾.

الحنين

وهو معروف بأخلاقه النبيلة والحميدة متمسكا بالصلاة، فقال السارد: " فكان رجل صالحا متقطعا للعبادة يقيم في البلد ستة أشهر في الصلاة والصوم، ثم يحمل إبريقه ومصلاته مصعدا في الصحراء"⁽³⁾. فمن خلال هذا نجد أن هناك بعض الأشخاص الصوفيون الذين كرسوا حياتهم للعبادة فقط وجعلوا صب تفكيرهم وعمرهم لدار الآخرة.

الإمام

وكان له الفضل في تذكير الناس بالصلاة، فكان يصلي بالناس ويقدم لهم خطة مؤثرة عن العبادات، ويذكرهم باليوم الآخر والموت والصلاة حين قال: "تذكروا الصلاة في عز الشتاء وما يربط ذلك بالوضوء بالماء البارد يشفق الرجلين والخروج من الفراش الدافئ إلى لقلع الصقيع ويسر في غبش الفجر إلى المسجد"⁽⁴⁾.

¹ - مصطفى سليم وفتحي محمد الزغبى: الثقافة الإسلامية تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، إثراء للنشر والتوزيع،

ط1، عمان، 2007، ص179.

² - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 26

³ - المصدر نفسه، ص25

⁴ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 61

البدوي

الرجل الذي مات على مصلاته "وفي ليلة من ليالي شهر رمضان مات البدوي على مصلاته بعد أن صلى التراويح، كان رجلا طيبا فمات ميتة كل الرجال الطيبين على مصلاته بعد أن صلى التراويح"⁽¹⁾. نجد الرواية تشير كثير لذكر الصلاة كصلاة الفجر العشاء حضروا الصلاة والمواظبة على الصلاة، ويحضرون كل الصلوات في المسجد هنا يشير إلى رجال لكبار العقلاء أمثال الحاج إبراهيم وأبو نعمة فهذا دليل أن مكانة الصلاة كبيرة جدا في نفوس المجتمع السوداني.

ب- القرآن الكريم

لغة

قرأ على وزن فعلان مثل غفران وشكران قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ [القيامة: ١٦ - ١٨]

اصطلاحا:

كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم العبد بتلاوته⁽²⁾.

ففي الرواية شخصيات تأثروا به أمثال نعمة التي كانت تحب القرآن وتحفظه، يقول السارد كيف أرغمت أباها أن يدخلها الكتاب لتتعلم القرآن، كانت الطفلة الوحيدة بين الصبيان وبعد شهر واحد تعلمت الكتابة وكانت تستمع إلى صبيان يكبرونها يقرؤون السور من القرآن، فتشعر في ذهنها وأقبلت على تعلم القرآن تحفظه وتتلذذ بتلاوته وكانت تعجبها آيات معينة منه حفظت "سورة الرحمن"، "سورة مريم" و"سورة القصص"، وتشعر بقلبيها يعتصره الحزن وهي تقرأ أيوب وتشعر بالنشوة حين تصل إلى هذه الآية: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَ

¹ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 59

² - مصطفى سليم فتحي سليم، الثقافة الإسلامية، ص 31

فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ

﴿٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٤] (1).

إمام المسجد:

وقال السارد أن الإمام تلا في تلك الليلة حين صلى بهم جزءا من سورة مريم وحاج إبراهيم عم الزين ووالد نعمة وهو رجل مشهور له بالصدق، ويذكر تمام أن الإمام قراء الآية: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُزِّيْ إِلَىٰكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسْقُطْ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥] (2).

القران الكريم يدعو إلى استعمال العقل والنظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض، كما يدعو إلى التمسك بمحاسن الأخلاق وأصول العبادات وجعل والحلال والحرام ميزانا في مطاعهم ومشاربهم وأموالهم وأعراضهم ودمائهم، فهو انزل ليعلم الناس ويهدي بالتي هي أحسن.

ج- التوحيد

تأتي بمعنى لا إله إلا الله أن لا معبود بحق ولا محبوب ولا مالك ومطاع ولا معتصم ولا سيد ولأحاكم إلا له فالتوكل عليه وأدب والاستجارة بغيره باطلة ومحفته فريضة فقول "لا إله إلا الله بيان عظمة والاعتراف به والإيمان إن لا إله إلا الله القادر" (3).

كذلك نجد التوحيد بالقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أو ذكر الشهادتين اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمد رسول الله. هنا التوحيد الإلهي وذكر رسوله يقول السارد: "يقول سيف الدين انه رأى الموت وجها لوجه ويجزم عبد الحفيظ وقد كان أقرب الناس إلى سيف الدين حين عاد وعيه، إن أول كلمات فاه بها حين جاش النفس في رثتيه من جديد أول شيء تقوه به حين فتح عينيه قال اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمد رسول الله" (4).

¹ - الطيب صالح رواية عرس الزين، ص 26

² - المصدر نفسه، ص 61

³ - مصطفى سليم وفتحي محمد الزغيبي : الثقافة الإسلامية، ص176.

⁴ - طيب صالح: رواية عرس الزين، ص52.

د- الزكاة.

الركن الثالث من أركان الإسلام ربط بها الله بينها وبين الصلاة في الكثير من الآيات (1). قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ [النور: ٥٦]

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤١]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۗ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ [الأحزاب: ٣٣]

في الرواية فضل الزكاة وأن هذه العبادة سارية في قول السارد "كان رجال كبار العقلاء يتزعمه الحاج إبراهيم وأبو نعمة يحضرون كل الصلوات في المسجد يدفعون إليه بصدقة الفطر في عيد رمضان ويعطونه جلود الذبائح في عيد الأضحى، إذا تزوج أحد أبنائهم وبناتهم" (2).

لقد جعل الإسلام الزكاة محك الإيمان وبرهان الإخلاص وهي التي تبين الفرق بين الإسلام والكفر كما أنها تطفى الذنوب وتعلم حب الغير والتفكير في الآخرة.

¹ - مصطفى سليم وفتحي محمد الزغيبي : الثقافة الإسلامية، ص 181

² - طيب صالح: رواية عرس الزين، ص 75.

هـ- الدعاء

لون من ألوان العبادة القولية ومظهر من مظاهر العبودية والخضوع لله سبحانه وتعالى والرغبة إلى الله عزو جل في قضاء الحوائج وتحل عن الحول والطول والقوة وتقويض الأمر لله عزو جل لأنه هو القادر يدفع الضر وي جلب النفع⁽¹⁾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقد تجلب سمات الدعوة في الرواية في رحمة الله عليه، بإذن الله، ربنا يستر وإن شاء الله، ربنا يبارك فيكم، ربنا يجعل البركة فيكم⁽²⁾.

و- المعجزة.

في اللغة ما عجز والعجز ضد القدرة وعجز عن الأمر إذ اقتصر عنه.

اصطلاحاً

أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي السالم من المعارض يظهره الله على يد رسله وبين الله معجزات أنبيائه أن يكون من جنس مشهور عند قومهم فكانت معجزة موسى عليه السلام ي السحر وعيسى عليه السلام في ظاهرها في الطب ومعجزة نبي صالح عليه السلام من بيئة القوم الصحراوية ومعجزة رسول الله محمد هو القرآن الكريم⁽³⁾. فنجد في الرواية معجزة سيف الدين بعدما كان رجل فاسد أصبح رجلاً صالحاً، قال السارد "حتى رأوا لعجبهم سيف الدين يدخل المسجد لصلاة الجمعة، ويقول الذين حضروا الصلاة انه لما سمع خطبة الإمام وكان موضوعها بر الوالدين أجهش طويلاً بالبكاء حتى أغمي عليه⁽⁴⁾. عزف عن الخمر

¹ - مصطفى سليم وفتحي محمد الزغبى: الثقافة الإسلامية، ص 195

² - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 60.

³ - ينظر: مصطفى سليم وفتحي محمد الزغبى: الثقافة الإسلامية، ص 38

⁴ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 59.

وابتعاذه عن أصدقاء السوء ومواظبة وعلى الصلاة اصرفها صلاح ما فسد في التجارة أبيه وبره بأمه خطوبته لبنت عمه وأخيرا عزمه على تاجية فريضة الحج ذلك العام (1).

كذلك نجد معجزة "الحنين" الرجل الصالح الذي عرف بأولياء الصالحين، قال السارد: "لا شك أن الحنين ذلك الرجل الصالح قال على مسمع من ثمانية رجال في تلك الليلة المباركة بين الصيف والخريف قبيل صلاة العشاء بقليل ربنا يبارك فيكم، ربنا يجعل البركة فيكم، وكأنها قوة خارقة في السماء قالت بصوت واحد أمين" (2)، بعد ذلك توالت الحوار معجزة تلو معجزة بشكل يأخذ باللب ثم تر البلاد في حياتها عاما رخيا مباركا مثل عام الحنين عام اخذ يسمونه صحيح، إن أسعار القطن ارتفعت ارتفاعا متقطع النظير في ذلك العام وان الحكومة لأول مرة في التاريخ سمحت لهم بزراعة بعد أن كان ذلك رقعا على مناطق معينة في القطر (3)، نستنتج أن السارد في روايته اهتم بالجانب الديني وأعطى له أهمية بالغة حيث برز الشخصيات فيها وكيف مارست الطقوس الدينية.

2- الأنساق السياسية في الرواية

تتعدد تعاريف التنظيم السياسي في المجتمع فتختلف طرق النشاط السياسي باختلاف مجتمع عن آخر وقد حدد بالأندية طرق رئيسية لتعريف على المجال السياسي وفي الطرق التي تحاول أن تتناول المشكلة الأنثروبولوجية الخاصة بغياب الظاهري للأبنية السياسية الرسمية في كثير من المجتمعات البسيطة والتقليدية.

ومن الطبيعي أن تعريف الجانب السياسي في المجتمعات التي لا تعرف الحكومة رسمية أو دولة مركزية بل قد لا تعرف رسمية أو دولة مركزية بل قد تعرف في بعض

¹ - الطيب صالح : رواية عرس الزين، ص60

² - المصدر نفسه، ص60

³ - نفسه، ص60

الأحيان قيادة زعامة واضحة للمنطقة⁽¹⁾، نستكشف أن كل سياسة تقوم على ممارسة سلطة وقوة ونفوذ نظام معين من طرف شخص ما أو عدة شخصيات تابعة للنظام السياسي.

أ- تعريف السياسة

يشير مصطلح السياسة إلى تأثير السياسة في الثقافة وتأثير الثقافة في السياسة وعلى النحو أكثر تحديداً، وتشمل ثقافة السياسة على القيم والمعتقدات والأفكار والممارسات التي وجدت في الجماعات التي تلعب دوراً في التنظيم السياسي للمجتمعات، ويرى "لوسيان باي" (Lucian Pyey) إن الثقافة السياسية تشكلت عن طريق الخبرة من الخبرات الشخصية، والخاصة لهؤلاء الأفراد الذين يصبحون نخبة المجتمع ثم بعد ذلك يمتلكون الجهاز الحكومي يحصد عدد من الاعتبارات التي يجب أن تأخذ في الاعتبار عند التحليل السياسي⁽²⁾، إذن السياسة عبارة عن تسيير سياسي للفرد والمجتمع والنواب والحكومة وغيرها من الأعضاء المساهمة في التسيير.

إن القوة السياسية الكاملة في شتى أنواع المجتمعات بما فيها تلك التي لا يمتلك آليات رسمية للحكم، ولقد بذل علماء الأنثروبولوجيا كثيراً من الاهتمام لدراسة كيف تستطيع المجتمعات المركزية أن تحافظ على النظام وتحافظ على تماسكها، ولا يقتصر ذلك على مجتمعات صغيرة الحجم، وإنما ينصب أحياناً على مجتمعات كبيرة مثل قبائل "النوري" في السودان الذين يبلغون عددهم حوالي مائتين ألف نسمة ولكنهم استطاعوا الحفاظ على بناء سياسي منظم قائم على نظام البدئية دون وجود سلطة مركزية عامة⁽³⁾.

إن أبرز نظام تقوم عليه السياسة المركزية وهي تمارس نفوذها وسلطانها على نطاق واسع فتصبح هي المهيمنة والمتسلط الوحيدة، ولكن من جهة أخرى هناك بعض الدول التي

¹ - شارلوت سيمور سميث: موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، تر: محمد الجوهري، المركز

القومي للترجمة، ط2، القاهرة 2009، ص 124

² - ينظر: سمير الخليل: دليل المصطلحات، ص 111

³ - شارلوت سيمور سميث: موسوعة علم الإنسان، ص 124

بنت النظام السياسي دون اللجوء إلى السلطة المركزية، فحسب راوان ماليموفسكي (Malimowski) فإن المرء يجد مجتمعات ديمقراطية فيها أربعة أنماط ذات هبة ومركزية قوية أي جماعة تصدر عنها القرارات الملتزمة للجميع كذلك نجد قوة الإخضاع والاستجابة وتلك السياسة المقيدة أو المحررة للأفراد تعبر مكونات الثقافة الاجتماعية⁽¹⁾.

ومن جانب آخر فالسياسة لا تقتصر على السلطة والقوة والمركزية فنحن إذا درسنا السياسة نفترض أنها تعبنا على فهم طريقة الناس في الاختيارات التي يباشرونها في دنيا السياسة، كذلك تعبنا على فهم كيفية التي تعمل بها السياسة المختلفة والتركيز على المؤسسات السياسية التي بنيت وطريقة أدائها فحسب⁽²⁾، فعند دراستنا للرواية من الجانب السياسي نجد الكثير من التغييرات من طرف الحكومة قامت على التطوير والتغيير في المجتمع السوداني اقتصاديا وسياسيا فمن جانب الاقتصادي قال السارد أسعار القطن ارتفعت ارتفاعا متقاطعا النظير في ذلك العام وأن الحكومة لأول مرة في التاريخ سمحت لهم بزراعة بعد مكان ذلك، ويواصل قوله فانتعشت البلد في التوريد والخضر وأتوا باللحوم والفواكه والبن للجيش حتى أسعار التمر ارتفعت ارتفاعا ليس له نظير في ذلك⁽³⁾. ومن جانب آخر عملت الحكومة على بناء دولة جديدة معاصرة ومتطورة فلم يقتصر على الجانب الاقتصادي فقط وإنما عملت على بناء البلدة بكاملها والتعمق أكثر في مشاكل سكانها وبناء كل المرافق التي توفر لهم حياة كريمة بداية لما قال السارد بنتت معسكرا كبيرا للجيش في الصحراء على بعد ملين من بلدهم والجنود يأكلون ويشربون⁽⁴⁾.

وقال أيضا بنتت الحكومة مستشفى يتسع لخمسمائة مريض ومدرسة وثانوية ومدرسة للزراعة ومرة أخرى عدت الفائدة في الأيدي العاملة والمواد البناء وتوريد الغذاء ناهيك عن

¹ - ينظر: سمير الحليل: دليل المصطلحات، ص 111

² - المرجع نفسه، ص 111

³ - نفسه، ص 111

⁴ - طيب الصالح: رواية عرس الزين، ص 61

مرضاهم سيقمون بالعلاج، وان أبناءهم سينالون حقهم في التعليم وقررت أيضا في العام ذاته ولم يمضي على وفاة الحنين أكثر من شهر أنظم أرضهم كلها في مشروع الزراعي كبير تشرف عليه الحكومة فكل هذه المساهمة التي قامت بها الحكومة صنعت بلدة جديدة قال السارد: "وأصبحت البلد تعج بالمهندسين والمتقنين"⁽¹⁾.

نستنتج أن السياسة تعمل على المحافظة على النظام الاجتماعي دون السيطرة السياسية والاستقلال الاقتصادي كذلك البعد عن المعتقدات التي تبرر ممارسات القوة والمكانة العالية والقيادة السياسية والسيطرة، ومن جهة أخرى عندما تغيب النزعة الفردية تبنى دولة جديدة وقوية فالسياسة تقوم على مراعاة الشعب والمجتمع وتساهم في بناء دولة قوية فعندما تغيب الهيمنة والمركزية يحقق العدل والمساواة.

3- النسق الأنثروبولوجي

إن المحيط البشري هو الموجة الأولى للانعكاسات الحسية الحركية أو حسب تعابير فإن البيئة البشرية هي مكان إسقاط التقليد وكما يقول ليفي ستروس (Levy Strauss) كل ما ينتمي لنظام الطبيعة يتصف بالشمولية والعفوية منفصلا عما ينتمي للثقافة أي الميدان ما هو خاص فانه من الضروري القيام بارتباط بين الطبيعة والثقافة ان المسار الأنثروبولوجي يمكنه الانطلاق من الثقافة أو من الطبيعة أو الطبيعة النفسية على حد سواء لأنهما طرفين قابلين للانعكاس فقبل التعمق في النسق الأنثروبولوجي علينا معرفة هذا المصطلح⁽²⁾.

وإذا درسنا مصطلح الأنثروبولوجيا إنها علم يدرس الإنسان وكما انه الصيغة اللسانية للمصطلح فهو علم الإنسان واهتم بها بيولوجيا واجتماعيا وسلوكيا من حيث نمط عيشه ومخططاته وطرائقه هي بؤرة اهتمام للتفسير والتأويل والفهم لديه⁽³⁾. وهذا يعني أن

¹ - طيب الصالح: رواية عرس الزين، ص 61

² - ينظر: جليتر دوران: الأنثروبولوجيا رموزها أساطير أنساقها، تر: مصباح الصمد مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 3، بيروت، ص.22

³ - ينظر: مبروك دريدي، الأنثروبولوجيا (مقرر السنة الثالثة ل م د)، سطيف، 2014-2015، ص5

الأنثروبولوجيا لا تترك زاوية من الإنسان وثقافته وتقوم بتحليل نشاطه المادي والاجتماعي والسلوكي والديني حتى الاقتصادي والفني وكل هذا يساعد الإنسان في تكوينه بفعل عدة عوامل سواء كانت بيئية أو وراثية أو دماغية أو اجتماعية أو ثقافية.

تعتبر التغيرات في الثقافة والمجتمع احد الاهتمامات النظرية الرئيسية في الأنثروبولوجيا الماركسية غير أنها تمثل التغيرات المختلفة وعدم الاستقرار والتطور في الأنساق الأنثروبولوجيا غالبا ما تتغير عندما يحدث لها اتصال بينها وبين انساق أخرى (1).

فهو سمي بالنسق الاجتماعي في نفس الوقت لأنه يهتم بالتحليل النفسي والمؤسسات الطقوسية والرمزية والأساطير والأيقونات وعلم النفس المرضي.

إن النسق الأنثروبولوجي عبارة عن نسق اجتماعي بامتياز يدرس الإنسان وعلاقته بالمجتمع بصفة عميقة وواسعة، إن الإنسان مرتبط بالتاريخ و يتغير مع تغير الزمن، كذلك النسق يتغير مع تغير التاريخ والمجتمع وهناك عدة عوامل تغير من طبيعة الفرد غير الطبيعة البيئية، كذلك نجد أن النسق يتغير عندما يحتك بأنساق أخرى من خلال دراستنا للرواية على المنهج الأنثروبولوجي فان شخصيات الرواية تختلف من شخص لآخر من حيث التفكير والثقافة والبيئة أول شخصية وفي الرئيسة للرواية وهو الزين" وهو إنسان جد اجتماعي ويحظى بحب الناس له كما أنه ميز بضحكته الجميلة.

قال السارد: "الضحكة التي أصبحت جزءا من البلد منذ أن ولد" الزين" (2).

كذلك عرف بحبه للنساء فقال السارد: "أيضا قصة حب الزين لعلوية بنت محبوب كانت أخر قصة حب له بعد أشهر أو شهرين سيسأم منها وتبدأ قصة حب جديدة" (3).

1- الطيب صالح : رواية عرس الزين، ص 13

2- الطيب صالح ، ص 9

3- المصدر نفسه ص 19

وكذلك عرف بحبه للجمال حيث قال السارد: "فهو لا يحب إلى الفتيات البلد جمالا وأحسنهن أدبا وأحلاهن كلاما"⁽¹⁾.

أما "نعمة" الفتاة الجميلة فكانت تحب القرآن الكريم وتحفظه وتتنافس مع الصبيان عليه وكان لها إيمان قوي كذلك عرفت بالعناد حيث قال السارد: "إن نعمة كانت دائما عنيدة في رأيها"⁽²⁾. وكذلك شخصية سيف الدين الذي اعتبر معجزة بلدته حيث كان معروفا انه الابن الرخو والهش قال السارد: "تدلل أمه ويد الله أبوه تدلل أخواته الخمس فكان لبد أن يفسد أو ينشأ هشا رخوا"⁽³⁾.

ولم يكن ابن صالح بل كان فاسدا وعرف بالمجون حيث كان يعرف أماكن الخمر ويصادق الجواري اللاتي يصنعنها⁽⁴⁾. إنه يأخذ صفات من المجتمع أو تكون صفات فطرية ترعرع عليها.

كما أن الأنثروبولوجيا الثقافية تدرس أصول المجتمعات والثقافات وتاريخها وتتبع نهوضها وتطورها وتدرس بناء الثقافة البشرية وأدائها لوظائفها في كل زمان ومكان كذلك تهتم بالثقافة في ذاتها سواء كانت ثقافة أسلافنا العصر الحجري أو ثقافة المجتمعات العصرية المعاصرة كذلك تهتم بالجانب العام للناس والكشف عن محاولتهم في الحياة والعمل مع التفاعلات المجتمعات⁽⁵⁾.

فقال السارد: "كانت ليلاه هذه فتاة من البدو الذين يقيمون على أطراف النيل في شمال السودان يقودون من أرض الكبابيش"⁽⁶⁾.

¹ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 19

² - المصدر نفسه، ص 94

³ - نفسه، ص 52

⁴ - نفسه، ص 53

⁵ - سمير الخليل، دليل المصطلحات، ص 43

⁶ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 21

وقال أيضا: " يشيع الماء في أراضيهم في بعض المواسم فيقدون على النيل بإبلهم وأغنامهم طلبا الري وأحيانا تلم بهم سنوات القحط حين تظن الماء السماء بالمطر بعضهم تستهويهم حياة الاستقرار على وادي النيل هؤلاء عرب القوز " (1).

وقال أيضا: "لا يتزاجون مع سكان الأصلي فهم يعتبرون أنفسهم عربا خلصا وأهل البلد يعتبرنهم بدوا أحلافا" (2).

والأنثروبولوجيا الصناعية تهتم بالبعد الإنساني للعمل على الخبرة الذاتية ولا تركز على الضوابط الموضوعية التي تحدد العمل ونظرت إلى مكان العمل بوصفه مكانا منعزلا عن سياقه الاجتماعي والاقتصادي (3)، ومن خلال دراستنا للرواية عرس "الزين" نجد عدة شخصيات برزت من حيث عملها بداية مع حليلة بائعة اللبن قال السارد وجاءت كعادتها عادتها قبل شروق الشمس تكيل لها لبننا (4).

كذلك نجد عمل الزين قال السارد فسخر الزين في أعمال كثيرة شاقة يعجز عنها الجن يحمل الماء على ظهره في عز الظهر في حر تئن منه الحجارة يسقي جنينه العمدة وتراه ماسكا بفأس أضخم منه يقطع شجرة أو يكسر حطبا تراه منهمكا بجمع العلف لحمير العمدة وخيله وعجوله (5).

كذلك عمل البدوي أبو سيف الدين الذي عرف بالصائغ قال السارد سمي الصائغ لان تلك هي حرفته في بداية حياته جمع بعض ثرواته بعرق جبينه ومن الصياغة والتجارة

¹ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 21

² - المصدر نفسه، ص 22

³ - شارلوت سيمور سميث: موسوعة علم الإنسان، ص 127

⁴ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 6

⁵ - المصدر نفسه، ص 21

والسفر⁽¹⁾. وكذلك سيف الدين قال السارد ومضى عام على سيف الدين وهو يجمع العلف للبقير ويرى الماشية على أطراف الحقل سحابة نهاره ويزرع ويحصد ويقطع⁽²⁾.

كما أن اغلب السكان يعملون في الزراعة أو الحكومة مثل موسى الأعرج قال السارد موسى كان عبدا رقيقا لرجل موسرا في البلد⁽³⁾.

أنثروبولوجيا الجسد: تطورت أنثروبولوجيا الجسد في نطاق دراسة الجسد الذي اعتبرت أسلوب تحول الجسد البشري إلى ظاهرة ثقافة تتمثل التغيرات في ارتداء الأزياء والتزين وتلوين الجسد كما تتضمن تغيرات أخرى كالوشم هذا المجال يدرس الصفات الجسدية للإنسان وحتى الإعاقات والتشوهات⁽⁴⁾. قال السارد: " وكانت للزين صدقات عديدة من هذا النوع من الأشخاص يعتبرهم البلد شواذ مثل موسى الأعرج، بحيث ولد مشوها ليس له شفة عليا وجنبه الأيسر مشلول الجسد"⁽⁵⁾.

الأنثروبولوجية النفسية تقوم بدراسة السلوك البشري وسمات تلخص جمعها ضروب السلوك الفردي وقد تكون بيولوجية واجتماعية وبيئية وتاريخية أو متصلة بالبناء الاجتماعي⁽⁶⁾.

قال السارد: "عاش البدوي الصائغ بقية حياته مثل رجل به عاهة كان الألم يحز في قلبه كذلك قال لما سمع خطبة الإمام وكان موضوعها البر بالوالدين أجهش طويلا بالبكاء حتى أغمي عليه"⁽⁷⁾. وهنا عندما سمع سيف الدين خطلة عن بر الوالدين أحس بالنجم لأنه

¹ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 52

² - المصدر نفسه، ص 52

³ - نفسه، ص 27

⁴ - شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الإنسان، ص 119

⁵ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 26

⁶ - شارلوت سيمور سميث: موسوعة علم الإنسان، ص 143

⁷ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 55

كان عاق وندم، كذلك نجد أم الزين حيث قال السارد: "كانت فرحة لأسباب عدة فرحة فرح الأم العزيزة لزواج ابنها"⁽¹⁾.

نستنتج ان الأنثروبولوجيا تدرس الإنسان دراسة شاملة وتهتم به من كل الجوانب فهي تلعب دورا كبيرا في دراسة البشرية.

4- العادات والتقاليد

يعيش الإنسان حياته بطريقة تتوافق مع الظروف المعيشية والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع أمور اعتدنا على وجودها، فهي لا تتجزأ ولا تزول تختلف من مجتمع لآخر ومن بلد لآخر فهي تقدم لنا المعرفة على طبق من ذهب لمنطقة ما، فالعادات تخص فرد أو مجتمع وتكون أحيانا سلوكا فطريا، أما التقاليد فهي موروثات ثقافية ورثناها عن الإباء والأجداد تؤثر على نشأة الإنسان.

فاهتم الأنثروبولوجين اهتماما خاصا بالعادات والتقاليد الاجتماعية على أساس أنها تساعدنا في تكوين أنماط الأفعال ونماذج الأفكار، إن هذا المصطلح استخدم على جميع المستويات، فقد اهتموا اهتماما خاصا بالأفعال الروتينية اليومية والقواعد المستخدمة بطريقة نمطية.

فقد اهتم فورش (Forch) بالظواهر الخاصة بالعادات باعتبارها مهمة للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، كما أنه أوضح مهمة الباحث الأنثروبولوجي الرئيسية هي التعرف على السلوك في داخل محتوى العلاقات الاجتماعية⁽²⁾.

كما أشار "مالينوفسكي" هذا الاتجاه في كتابه الجريمة والعرف في المجتمع الهجري وأوضح أهمية العادات ونظرة الأهالي بكل احترام فذكر أن الحياة والنظام اليومي والنشاط الكامل عبارة عن عادات.

¹ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص91

² - فاروق أحمد مصطفى: دراسات في المجتمع المصري المولد، ص75

فالعادات الفردية وهي أسلوب فردي الممارسة بعض جوانب الحياة اليومية ومظاهره فردية⁽¹⁾. قال السارد: "وقد جاءت كعادتها قبل شروق الشمس وهي تكيل لها لبنا"⁽²⁾. وهذا يمثل عادة يومية.

أما بما يخص التقاليد تعتبر ذات أسلوب اجتماعي ومظاهرها اجتماعية بمعنى أنها تمارس إلا في المجتمع ومن خلال هذا التفاعل مع أفراد وجماعته⁽³⁾.

قال السارد: "فكون بنت العم لابن العم حجة ليس بعدها حجة في عرف البلد انه تقليد قديم عندهم في قدم غريزة الحياة نفسها وغريزة البقاء والحفاظ على النوع"⁽⁴⁾.

وقال أيضا: "وأخذ الرجال يرمحون بأقدامهم كما تخب الخيل ويواصل يلبسون في أرجلهم إخفاقا وفي ذراع كل منهم سكين في غمده"⁽⁵⁾.

هنا بين لنا السارد تقاليد الشعب السوداني في عرسهم كذلك نجد اختلاف في الأكل حيث قال: "كانت القهوة ماتزال ساخنة وتفوح منها القرفة والحبهان والزنجبيل"⁽⁶⁾. كل منطقة لها طريقة خاصة في الأكل وتنوع الأكل وطريقة صنع القهوة تبين لنا هذا الاختلاف.

نستشف في الأخير أن العادات والتقاليد عبارة عن سلوكيات المجموعات عبر الحضارات والأزمنة وهي تمارس بشكل عادي في حياتهم. فنجد أن المجتمع السوداني ذات عادات وتقاليد جميلة وهذا ما يميزها عن المجتمع الآخر.

¹ - فاروق أحمد مصطفى: دراسات في المجتمع المصري المولد، ص 75

² - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 5

³ - فاروق أحمد مصطفى: دراسات في المجتمع المصري المولد، ص 75

⁴ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 69

⁵ - المصدر نفسه، ص 100

⁶ - نفسه، ص 66

5- الزواج

عنوان الرواية مألوف لدى القراء لان موضوعه الزواج كلنا نعرف كيف يتم الزواج فنحن خفضنا هذه الطقوس عن ظهر قلب وكلنا نشاهد هذه الطقوس بشكل يومي ومتكرر فزواج يختلف من مكان إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر، إذن تختلف طرق تأدية الزواج من بلد لبلد آخر.

أ- تعريف الزواج

لا يوجد تعريف عام ومقبول للزواج بسبب الاختلاف الشديد بين الثقافات في تنظيمها الاجتماعي للعلاقة بين الذكور والإناث، وقد حاول بعض الكتاب أن يعرفوا الزواج من خلال الإشارة إلى وظائف الجوهرية العامة لتلك المؤسسة والتي تتعلق بالنشاط الجنسي وفي حقوقه وكذلك في شرعية الأطفال⁽¹⁾.

والجدير بالذكر أن الحقوق والعلاقات التي تتأسس بقيام الزواج ليس دائما ذات طابع فردي خاص بالمتزوجين فقط وإنما يشترك فيها الأقارب أيضا وفي مقالة تحت عنوان تعريف الزواج يبدي ليتش (Leech) بالتعريف الوارد في كتاب ملاحظات ومسائل الأنثروبولوجية الشهير القائل بان الزواج هو اتحاد بين الرجل والمرأة والذي بمقتضاه يصبح الأبناء الذين تلدهم المرأة أبناء شرعيين لكلا الطرفين⁽²⁾.

ولهذا نستنتج أن الزواج هو اتحاد امرأة ورجل لتكوين أسرة وعائلة من خلال دراستنا للرواية نجد أن العنوان بدايته مثل نهايته لان "الزين" كان يبحث عن فتاة للزواج وفي الأخير يتزوج بنت عمه نعمة قبل هذا بدا رحلة البحث عن فتاة أحلامه فكان له ذوق رفيع في اختيار فتاته فهو يحب الجمال والأخلاق وأول قصة حب له كانت لعزة بنت العمدة واستغل العمدة هذا الحب لمصلحته.

¹ - شارلوت سيمور سميث: موسوعة علم الإنسان، ص 320

² - المرجع نفسه، ص 320

فوعد العمدة أن يزوج ابنته "للزين" ولكن في الأخير خطبت لابن خالها قال السارد: "حتى شاع في البلد أن عزة خطبت لابن خالها الذي يعمل مساعدا طبيا في ابر عشر ولم يقل شيئا ولكنه بدا قصة حب جديدة"⁽¹⁾. ثم بداية قصة حب جديدة لزين من فريق القوز (أي الذين يقيمون على أطراف النيل في شمال السودان). قال السارد: "استيقظت البلد على صياح "الزين" أنا مكتول في فريق القوز وكانت ليلاه هذه المرة فتاة من البدو"⁽²⁾. كانت الفتاة تدعى حليلة، ولكنها في الأخير تزوجت بابن القاضي. قال السارد: "أصبحت فيما بعد هوسا عنده لم تفارقه إلى أن تزوجت الفتاة فقد سامع الناس بها وجاء كثيرون من أثرياء البلد وشبانها المرموقين يخبطونها من أبيها وتزوجها أخر الأمر ابن القاضي"⁽³⁾

بعد زواج حليلة وبنت العمدة تغيرت حياة "الزين" ففطنت أمهات البنات وأصبح وسيلة لتزويج بناتهن فكل فتاة يقع في حباها "الزين" تتزوج فأضحى رسولا للحب قال السارد: "أصبح الزين رسولا للحب ينقل عطره من مكان إلى آخر كان الحب يصيب قلبه أول ما يصيب ثم ما يلبث أن ينقل منه إلى قلب غيره فكأنه سمسار أو دلال أو ساعي بريد"⁽⁴⁾. قال أيضا: "والسعيدة منهن من تقع في قلبه موقعا والتي يخرج اسمها على فمه تلك الفتاة تضمن زوجا خلال شهر أو شهرين"⁽⁵⁾.

وفي الأخير تزوج "الزين" من ابنة عمه نعمة الفتاة التي لم تخطر على باله أبدا الفتاة الحسنة والشجاعة والجريئة قال السارد: "والزين لن يتزوج امرأة من عامة الناس ولكنه سيتزوج نعمة بنت الحاج إبراهيم"⁽⁶⁾.

¹ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 21

² - المصدر نفسه، ص 21

³ - نفسه، ص 23

⁴ - نفسه، ص 23

⁵ - نفسه، ص 23

⁶ - نفسه، ص 23.

تختلف طرق تأدية الزواج من بلد لآخر بما أن الرواية سودانية فهي تعرفنا بعادات وتقاليد قال السارد: "فاذا أقيم عرس على بعد ميلين تسمع زغاريد و دق طبوله وعزف طنابيره ومزاميره كأنه إلى يمين دارك"⁽¹⁾. وقال أيضا "وتقترب زغاريد النساء وتتضح معالمها ويستطيع "الزين" أن يميز امرأة زغردت ثم تبدو الأنوار وتبدو أشباح مجمعة تصعد وتهبط كأنها شياطين في وادي الجن ثم يظهر الغبار الذي تثيره أرجل الناس في رقصتها"⁽²⁾.

وبالنسبة عن عادات زواج وكيف يتم الزواج قال السارد أجري الإمام مراسيم الزواج في السجد تاب الحاج إبراهيم عن ابنته وتاب محبوب عن "الزين" وأتما لهم العقد قام محبوب ووضع المهر على الصحن حتى يراه الكل اخذ مائة جنيه ذهبا وأدار عينه في الرجال المجتمعين كانت أم "الزين" المرأة الوحيدة بينهم⁽³⁾. ويواصل وصفه لعادات الزواج "جاء عبر النيل بالمركبة وجاء من أطراف البلد بالخيل والحمير والسيارات زغرودة منفردة ثم مجموعة زغاريد، ثم طبل وحيد ثم طبول كثيرة لأصواتها أصداء ولوح الرجال بأيديهم وهزوا بالعصي والسيوف، وأطلق العمدة من بندقيته خمس طلقات"⁽⁴⁾. ولكي يتم الزواج هناك ملابس خاصة به تختلف من بلد لآخر قال السارد "ألبسوه قفطانا من الحرير الأبيض ومنطقوه بحزام اخضر وعلى ذلك كله عباده من المخمل الأزرق فضفاضة يملأها الهواء فكأنها شرع وعلى رأسه عمامة كبيرة تميل قليلا إلى الأمام وفي يده سوط طويل من جلد التمساح وفي إصبعه خاتم ذهب"⁽⁵⁾.

¹ - الطيب الصالح: رواية عرس الزين، ص 33

² - المصدر نفسه، ص 42

³ - نفسه، ص 95

⁴ - نفسه، ص 97

⁵ - نفسه، ص 97-98

وتحدث المؤلف الطيب صالح عن أنواع الموسيقى التي تم بها عرس الزين قال جاء بأحسن مغنيات وأحسن الراقصات ضاربات الدف وعازفي الطنابير وأخذت فطومة وكانت أشهر مغنية غربي النيل تشدو بصوتها المثير :

انطق يا لسان جيب المديح... أقداح الزين الظريف خلا البلد أفراح
ثم تاليها فطومة.

الزوال السكونة فشابي.... طول الليل عليه بشابي⁽¹⁾.

نستكشف أن رغم اختلاف العادات والتقاليد واختلاف الثقافات من بلد لآخر أو مجتمع لآخر إلى أن الزواج يبقى الشيء المقدس والمشارك رغم اختلاف طرق إتمامه لذلك نستنتج في الأخير أن السودان بلد مليء بالثقافات وبلد ذات حضارة راقية جيدا وتختلف فيها العادات من منطقة لأخرى.

¹ - الطيب صالح: رواية عرس الزين، ص 97

خاتمة

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها:

إن النسق هو عبارة عن نظام واحد تتميز به كل الكائنات وعليه يكون معنى النسق نظام الأشياء وتتابعها وأن النسق يتحكم بمتعتها لأن لديه مقاييس منظمة وجب على الفرد اتباعها والحفاظ عليها وفق شروطها.

ثانياً أن الثقافة تسلط على الإنسان وتفرض نفسها عليه كما هي عبارة عن عادات يكتسبها الإنسان الذي يعتبر عضواً في المجتمع.

ثالثاً كما نستنتج أن النسق الثقافي هو تركيب لمفهوم النسق والثقافة كما أنها أزلية موجودة منذ القدم تفرض نفسها على مستهلكها وذلك من خلال الاختفاء وراء قناع الجمالية اللغوية التي ينطوي تحتها النسق الثقافي.

رابعاً أن النقد الثقافي هو نشاط وليس مجال معرفياً خاصاً بذاته، فهو يدرس عدة مجالات ونظريات، فعند دراستنا له نستكشف أنه جاء ليستوعب عدة مفاهيم، فهو لا يمثل وعي شامل لا يخص بلد أو ثقافة، ما بل يدعو للتعددية والاختلاف.

خامساً نستنتج أن البناء الثقافي يشمل عدة مجالات في حياتنا اليومية، فكل شيء يتحدث عن التطور يمثل بناء ثقافي، أما بخصوص البناء الثقافي في الرواية فهو الذي طورها وبرزها بعدما كانت مهمشة وجنسا أدبياً فقط أصبحت مركزية ذات هيمنة.

سادساً أن عند قراءتنا للعنوان يبدو لنا مألوف، ولكن الحقيقة عند الغوص فيه نجد عكس ذلك.

سابعاً نستنتج أن أحداث هذه الرواية تجري في القرى السودانية (كارما كول - مروة.... الخ) التي لها جذور عميقة مع السودان خاصة القرى السودانية.

ثامنا ركزت الرواية على إبراز جانب الديني والسياسي عند المجتمع السوداني، فهم شعب متمسك بالدين، أما بخصوص السياسة لا تقتصر فقط على السلطة والقوة والمركزية.

تاسعا نستنتج أن الأنثروبولوجيا علم واسع ويدرس الإنسان من كل جوانبه ولا يمكن الاستغناء عنه لأنه يقدم لنا دراسة لمعرفة البشرية.

عاشرا أن كل مجتمع يختلف على الآخر من ناحية العادات والتقاليد وطرق تنظيم الزواج، فالمجتمع السوداني عني بهذا الاختلاف مما يبرز عدة ثقافات في رواية واحدة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصدر:

1. الطيب صالح، عرس الزين، دار العودة، بيروت، 1988.

الكتب العربية

1. بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، جامعة اليرموك، ط 1، الأردن، 2001.
2. بشرى موسى صالح: بوطيقا الثقافة، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 2012.
3. حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، 1991.
4. الخليل بن احمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2002.
5. سعيد البازغي، الاختلاف الثقافي والثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط 1، دار البيضاء، 2008.
6. سمير روجي الفيصل: الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، سوريا، 2003.
7. ضياء الكعبي: السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2005.
8. عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنية إلى التفكيك، عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1998.
9. عبد الله الغدامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي، ط3، دار البيضاء، 2005.

10. عبد النبي اصطيف، النقد الثقافي إلى أين، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1980.
11. علي بن محسن الشويش: أثر التفكير في البناء الثقافي، دار مفردات للنشر والتوزيع، ط1، السعودية.
12. فاروق احمد مصطفى : دراسات في المجتمع المصري المولد دراسة العادات والتقاليد الشعبية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، مصر، 1980.
13. فاروق أحمد مصطفى: دراسات في المجتمع المصري المولد، ص75
14. مبروك دريدي، الأنثروبولوجيا (مقرر السنة الثالثة ل م د)، سطيف، 2014-2015.
15. محمد برادة: زمن الرواية أفقا للشكل والخطاب المتعددين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة، دت.
16. محمد مفتاح: التشابه والاختلاف نحو مناهج شمولية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1996.
17. مصطفى سليم وفتحي محمد الزغبي: الثقافة الإسلامية تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، إثراء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2007.
18. نادر الكاظم: تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ط1، لبنان، 2014
19. يماني العيد: في معرفة النص دراسة في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1983.

20. يوسف محمود عليّات، النسق الثقافي (تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي)، ط1، الأردن، 2015.

الكتب المترجمة

1. إدوارد سعيد: الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار النشر والتوزيع، ط4، بيروت، 2014.

2. إدوارد سعيد، الثقافة والمقاومة، تر: علاء الدين أبو زينة، دار الآداب، بيروت، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2006.

3. ارثر ايزابرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، ط1 القاهرة، 2003 .

4. جليتر دوران: الأنثروبولوجيا رموزها أساطير أنساقها، تر: مصباح الصمد مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 3، بيروت.

5. شارلوت سيمور سميث :موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، تر: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة 2009.

المعاجم

1. ابن المنظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب" دار المعارف، د ط، مادة نسق فصل النون"، ص4412

2. احمد عمر المختار: معجم اللّغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، القاهرة 2008.

3. جبران مسعود الرئد: معجم لغوي عصري، باب الثاء، دار العلم للملايين، ط 1 بيروت، 1992.

4. سمير الخليل: دليل المصطلحات الدراسات الثقافية، النقد الثقافي مراجعة سمير الشيخ، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، 1971.
5. شعبان عبد العاطي عطية احمد حامد حسين جمال مراد حملي: معجم الوسيط، جمع اللّغة العربية مكتبة الشروق الدولية، ط 4، القاهرة 2005 .
6. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2002.
7. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، لبنان، 2008، باب التاء.
8. محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: قاموس المحيط، مكتبة تحقيق التراث، ط2، البلد، 2009.

المجلات

1. عائشة لعبادلية: الرواية من المنظور الدرس الثقافي، مجلة آفاق العلوم، جامعة الجلفة، العدد التاسع، سبتمبر 2017.

المحاضرات

1. محاضرة 21: تحليل رواية "عرس الزين"، لطيب صالح، كافة الحقوق محفوظة، الجامعة الإسلامية بغزة، 10 نوفمبر 2015 <https://www.iugaza.edu.ps youtube.com>.

المواقع الإلكترونية

1. محمد بن يوب: قراءة بصرية لغلاف رواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة، جامعة ورقلة www.benhedouga.com، بتاريخ 20/10/2022

الملحق

تلخيص رواية "عرس الزين"

رواية كتبها الروائي السوداني الراحل طيب الصالح "عرس الزين"، إنها رواية عربية معاصرة صدرت على دار العودة في بيروت عام 1969، ويبلغ عدد صفحاتها 106 صفحة حيث يصور الكاتب من خلالها حياة القرى في شمال السودان، فهي رواية اجتماعية عن المجتمع السوداني، وتتمحور أحداث الرواية حول شخصية غريبة يدعى "الزين"، ومن خلال الصورة التي رسمها لنا الطيب الصالح، فهو شاب غريب حدث ولادته كان عجيب ومضحك ومثير للسخرية، رغم هذا فهو يملك قلب نافع ينبض بالحب.

اعتبر عرس الزين خبرا مفزعا في نفوس أهل قريته واستغلاليا عند البعض، فكان المشهد الأول موقف آمنة وهي تشتري اللبن من حليلة، فاستغلت انشغالها لتغشها، ومن ثم ينقلها الروائي إلى مشهد ساحر لتلميذ وصل متأخرا إلى المدرسة، ليستغل هو الآخر وقع الخبر على معلمه الناظر لينجو من العقاب، واستفاد من ذلك الشيخ علي ولم يخلص دينه لعبد الصمد، وكذلك آباء الفتيات، فكثيرا ما كانوا يستغلون الزين في العمل الشاق في البيت والأرض بسبب قلبه الذي ينبض بالحب وينجذب إلى ما هو جميل، فقد مال لمعظم فتيات القرية الجميلات، وخفق بصدق بينما كن يلهين بمشاعره ويعبثن بها، لهذا جر عليه هذا الحب بالتعب والمشقة، وكذلك الأمهات كانت يرحبن بالزين كونه مصر غاية لبناتهن، كما كان محبا لألوان الفرح وآياته، فقد كان يمتلك أسنان ترصدان مزامير الفرح من مسافات بعيدة وعرف بتمييزه لزغاريد النسوة، حيث كانت تكسب الأعراس طعاما خصوصا بوجوده، ولكن الزين يمضي كل وقته في الأعراس أو في المآدب أو في معاتبة النساء، كان منقطع للعبادة وكون صداقات أبرزها صدقته مع الحنين رجل صالح ودين واعتبر من الأولياء الصالحين لأنه رجل صوفي.

فكان سبب في زواجه من أحسن فتاة في البلدة، كما لأهل القرية بعد حادثة حدثت مع الزين أخرجته من محيط القرية إلى عالم أوسع، وهذا بعد عراكه مع سيف الدين، جاء هذا الأخير ليثأر لأخته بعد تغزل الزين بها يوم زفافها بضربة بالفأس على رأسه، ليعود من

المستشفى مبهورا بأسنانه البيضاء بعدما كان عنده سنة في كفه الأعلى والواحدة في كفه السفلي ومعرفته الجديدة التي اكتسبها من رحلته مروية، وبعد شفائه رد على سيف الدين وكان يقتله رغم صورته النحيفة والهزيلة التي تحي بالضعف لولا تدخل الحنين كان جثة تحت يدي الزين.

فبعد كل هذه الأحداث ظهر عام الخير على هذه القرية وتغيرت أحوالهم إلى الأحسن فبنت المستشفى والمعسكرات وشخصية الإمام الذي كان يمثل الشرع بأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليسود الأمن والاطمئنان في القرية، والتغير الذي حدث لسيف الدين الفتى الثري العاق لوالديه بعد وفاة والده، وضع يده على أموال أبيه ابن الضائع، وفي اللهو والمخامر ولكن بعد حادثته مع الزين وعفوه عنه بدأ تحول جديد في حياته فقد أصبح متدينا.

لتنتهي أحداث هذه الرواية بزواج الزين بابنة عمه الحاج إبراهيم، عرفت بميزتها عن الوسط التي كانت تعيش فيه، كانت في أعين الجميع بسبب جمالها، فمن ينظر فيها تصبه لعنة الحب، فقد كانت الفتاة الوحيدة التي يوفرها الزين، فلا يتحدث معها ولا يعاتبها، عرقت بجرأتها فكانت هي من طلبت من الزين الزواج بها يوم الخميس أمام أمه.

وفي الأخير تقام احتفالات العرس عن الطريقة السودانية، تميزت بوجود الرقص والغناء من جهة وإلى وجود القرآن من جهة أخرى، شارك في الاحتفال جميع أهل البلدة ورغم عرس الزين إلا أنه اختفى بعد مشقته، ليعثر عليه محجوب في المقبرة حيث كان يبكي على ضريح الحنين متمني لو أنه حضر عرسه، ويعود إلى عرسه بحماسة وضحكاته ورقصه لينفث فيه طاقة جديدة لتحول هذا العرس إلى مظاهرة كبرى هزت القرية بأكملها بذلك الفرح.

التعريف بالراوي الطيب صالح

ولد الطيب محمد صالح أحمد في إقليم مروى شمالي السودان بقرية كرمكور بالقرب من قرية دبة الفقير سنة 1929م.

تلقى تعليمه الأول في قريته البسيطة وشارك والده حياة الفلاحين منم رعي الأغنام والزراعة وجمع التمر إلخ، وتخرج من المدرسة الثانوية الوحيدة في منطقته، وجاء إلى خرطوم ولكنه لم يكمل الدراسة فيها لأنها لم تناسب ميوله، وانصرف إلى العمل مدرسا في صفوف المحلة المتوسطة الإعدادية.

سافر إلى لندن سنة 1952، نال شهادة في الشؤون الدولية في إنجلترا أي قبل استقلال السودان عام 1956.

ظل بعيدا عن وطنه معظم حياته، عمل في هيئة الإذاعة البريطانية أكثر من 20 سنة حتى صار رئيسا لقسم الدراما، وفي عام 1974 قدم استقالته من تلك الإذاعة التي كانت أكثر الإذاعات أكثر انتشارا في العالم العربي، وكانت لندن هي محطته التي يعود إليها دوما، والتي تزوج فيها من الاسكتلندية جوليا ماكلين عام 1965، وأنجب ثلاث بنات (زينب، صارة وسميرة).

كتب الطيب صالح العديد من الروايات التي ترجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة وهي: موسم الهجرة إلى الشمال، عرس الزين، مريود، ضو البيت، منسى.

جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي

أطلقت جائزة أدبية تحمل اسمه بمناسبة الذكرى السنوية لوفاته وذلك في مجالات النقد والرواية والقصة الصغيرة تشجيعا للفن والثقافة في السودان والوطن العربي.

وفاته:

توفي الطيب صالح في يوم الثلاثاء 17 فبراير عام 2009 في لندن، وشيع جثمانه في مقابر البكري في أم درمان يوم الجمعة 20 فبراير في السودان.¹

¹ - هجيرة مشروك، لامية جمعي، الشخصية في رواية "عرس الزين"، مذكرة لنيل شهادة الليسانس، جامعة أكلي محند

فهرس المحتويات

مقدمة.....أ

الفصل الأول:

الجهاز المفاهيمي للنسق الثقافي الروائي

المبحث الأول.....5

1- مفهوم النسق.....5

أ- مفهوم النسق لغة.....5

ب- مفهوم النسق اصطلاحاً.....6

2- مفهوم الثقافة.....9

أ- مفهوم الثقافة لغة.....9

ب- مفهوم الثقافة اصطلاحاً.....9

3- مفهوم النسق الثقافي.....12

المبحث الثاني: الثقافة والنقد الثقافي.....15

1- البناء الثقافي في الرواية.....18

أ- البناء الثقافي.....19

ب- البناء الثقافي والحضارة.....20

ج- البناء الثقافي بالعلم.....21

د- الإنسان والبناء الثقافي والجانب المعرفي.....21

هـ- البناء الثقافي والدين.....21

و- البناء الثقافي في الرواية.....21

الفصل الثاني:

تمظهرات الأنساق في الرواية

- المبحث الأول: البنية النصية للرواية 26
- 1- تفكيك العنوان 26
- أ- الدلالة البصرية أو الأيقونة 30
- ب- قراءة في دلالة الألوان: 33
- 2- أنساق الثقافة السودانية 35
- المبحث الثاني: الأنساق الدينية والسياسية في الرواية 38
- الأنساق الدينية في الرواية 38
- أ- الصلاة 39
- ب- القرآن الكريم 40
- ج- التوحيد 41
- د- الزكاة 42
- هـ- الدعاء 43
- و- المعجزة 43
- 2- الأنساق السياسية في الرواية 44
- أ- تعريف السياسة 45
- 3- النسق الأنثروبولوجي 47
- 4- العادات والتقاليد 52
- 5- الزواج 54
- أ- تعريف الزواج 54

58	خاتمة
61	قائمة المصادر والمراجع
66	الملحق
70	فهرس المحتويات

المخلص:

يسعى هذا البحث إلى إبراز الأنساق الثقافية وتمظهراته في الخطاب الروائي السوداني مركزاً على النقد الثقافي للكشف عنها وذلك من خلال رواية "عرس الزين" للطيب صالح التي عرف فيها الواقع الاجتماعي والثقافي السائد في السودان، فانطلقنا في الفصل الأول إلى إبراز الجانب المفاهيمي للنسق والثقافة والنقد الثقافي والبناء الثقافي للرواية، أما الفصل الثاني فقمنا باستجلاء تمظهرات أنساق البنية النصية للرواية وفكنا العنوان، ثم تطرقنا إلى الجانب الثقافي للمجتمع السوداني، والتي تشمل على الأنساق الدينية والسياسية والانتروبولوجية عادات وتقاليد المجتمع السوداني، ثم خلصنا إلى خاتمة ضمن جملة من نتائج البحث المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، الأنساق الثقافية، رواية عرس الزين.

Abstract :

This research seeks to highlight the cultural patterns, and its manifestations in the narrative discourse, based on cultural criticism, (to detect it, this is through a narration « aurs ezzine » written by Tayeb Salah in which he knew the social reality and prevailing culture in Sudan, we proceeded in the first chapter to highlight the conceptual apparatus of the system culture, cultural criticism and cultural construction of the novel, as for the second chapter we investigated style manifestations the textual structure of the novel. And we deciphered the address then we touched the on the cultural aspect Sudanese society, which include religion, political and anthropological formats and customs and tradition of Sudanese society. The we come to an end, writing the phrases of the research results continuous to it.

Key word; cultural criticism, cultural alignment, a novel, the story of aurs ezzine